


مصطفى مستور

# قبِّل وجه إلهك

رواية

ترجمة وتقديم: أحمد عاطف أبو العزم

مراجعة: محمد نور الدين عبد المنعم

2211
سلسلة الإبداع القصصي

# قبِّل وجه إلهك

## ( رواية )

تأليف : مصطفى مستور

ترجمة وتقديم : أحمد عاطف أبو العزم

مراجعة : محمد نور الدين عبد المنعم



2014

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

سلسلة الإبداع القصصى
المشرف على السلسلة: خيرى دومة

- العدد: 2211
- قبّل وجه إلهك
- مصطفى مستور
- أحمد عاطف أبو العزم
- محمد نور الدين عبد المنعم
- اللغة: الفارسية
- الطبعة الأولى 2014

هذه ترجمة كتاب:

روي ماه خداوند راببوس

مصطفى مستور


شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

**بطاقة الفهرسة**
**إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية**
**إدارة الشئون الفنية**

مستور، مصطفى
قبل وجه إلهك (رواية)/ تأليف: مصطفى مستور؛ ترجمة وتقديم: أحمد عاطف أبو العزم؛ مراجعة: محمد نور الدين عبد المنعم
ط ١، القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠١٤
١٧٦ ص، ٢٠ سم
١- القصص العربية القصيرة
( أ ) أبو العزم، أحمد عاطف (مترجم ومقدم)
( ب) نور الدين، محمد عبد المنعم (مراجع)
( جـ) العنوان ٨١٢,٠١

رقم الإيداع ٢٠١٢/١٠٧٩٥
الترقيم الدولى ( I.S.B.N. 978-977-216-138-6 )
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

---

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

# تقـــديم

هذه الرواية على قصرها وقلة عدد صفحاتها؛ حافلة بالأحداث ومليئة بالشخصيات، ومفعمة بالأفكار ذات الطابع الفلسفى، وذلك فى إطار شيق يكتسى طابع البحث والتحرى، الأمر الذى يجعل القارئ لا يصيبه الملل الذى يلازم الأفكار المجردة؛ بل نجدها مبثوثة فى نسيج النص الروائى، ومشتبكة به دون أن ينظر إليها باعتبارها جسمًا غريبًا أو عضوًا زائدًا.

إن النظرة السطحية للرواية التى لا تأخذ فى الاعتبار بعدها الفلسفى، سوف ترى الرواية باعتبارها قصة بوليسية، تبحث فيها الشخصية الرئيسية: يونس فردوس، الباحث الاجتماعى، عن سبب انتحار العالم والفيزيائى الأكاديمى: محسن بارسا.

إن استخدام الروائى لأسلوب التحقيق البوليسى ليكون غطاءً ووسيلة يطرح عبرها الأفكار الفلسفية العميقة عن الوجود والحياة والموت والله، يشى بمقدرة سردية فذة، وامتلاك كامل لتقنيات الفن الروائى، وذلك لتمكنه من صياغة منسجمة تجمع ما بين كلا المستويين:

الظاهرى/ الحكائى، والباطنى/ الفلسفى، دون أن يتغلب أحدهما على الآخر، خاصة الجانب الفلسفى، لما فى تسيده من إغراء بالخروج على مقتضيات النوع السردى الروائى.

تعبر الرواية عن رؤيتين للعالم على طرفى نقيض: الرؤية المادية، والرؤية المثالية.

الرؤية المادية رؤية فلسفية عامة، تتعلق بنوع النظرة إلى ماهية الكينونة الإنسانية ككل، لا تؤمن إلا بما يدرك بالحواس، رؤية أصبحت تعبيراً عن أسلوب في العيش وأسلوب فى التفكير على حد سواء، حيث استحالت إلى أنموذج نظرى شارط لعملية الإدراك. تدور حول عالم الحس، ولا تلتفت إطلاقا إلى الماوراء. بحيث يكون عقل معتنقها عقلا يغوص فى المادة ويغرق فيها، فينسى ذاته وينسى سؤال الكينونة، والماهية والوجود.

تتجسد هذه النظرة بوضوح فى الاختزال المادى لكينونة الإنسان، حيث تؤول به إلى مجرد حيوان اقتصادى! تصنعه الشروط الاقتصادية لمجتمعه الذى يعيش فيه، بحيث تحدد هذه الشروط قيمه وأنماطه السلوكية، ويكون لها الأولوية المطلقة فى فهم سلوكه وتفسيره، دون اعتبار لأية دوافع أخرى ذات طبيعة غير مادية.

ولا يكمن خطأ هذه الرؤية فى اهتمامها بالدوافع المادية، إذ لا شك فى أهمية تلك الدوافع لدى الإنسان، ولكن يكمن خطؤها فى اندفاعها القصدى إلى اختزال الذاتية الإنسانية فى كينونة مادية لا روح لها ولا قلب.

ليس العيب إذن فى ذكر هذه الدوافع، وليس الصواب هو نفى وجودها، لكن العيب يكمن فى الرؤية الاختزالية، والصواب يتحدد فى رؤية مستوعبة للكائن الإنسانى، تقاربه فى تعدد دوافعه وتنوع أشواقه؛ لأن رؤية هذا التنوع هى المدخل المنهجى الضرورى لتأسيس نظرية مجتمعية تستجيب لها فى كليتها وتوازنها.

هذه الرؤية الأحادية الاختزالية للذات الإنسانية نجدها عند الشخصية الرئيسية فى الرواية، يونس فردوس، الذى يبحث عن الأسباب "الاجتماعية" لانتحار محسن بارسا.

لا يطرح يونس على نفسه أسبابا غير مادية وراء انتحار بارسا، ورغم أن أحداث الرواية تبدأ ولما يتبق على الموعد المحدد للانتهاء من الرسالة وتسليمها سوى ثلاثة أشهر، ما يعنى أنه استغرق زمنًا طويلاً بحثًا عما يؤيد وجهة نظره المسبقة - ذات الطبيعة المادية - دون أن يجد بيانات ومعطيات تؤيدها، الأمر الذى كان يستدعى منه كباحث أن يعدل من وجهة نظره بما يتوافق مع الواقع، إلا أنه يفضل عدم إكمال الرسالة إذا لم يكن لوفاة بارسا سبب اجتماعى/ مادى.

هذه الرؤية المادية تجعل يونس متشككًا دوما فى وجود الله، ولا ينى عن التساؤل: هل الله موجود؟ حيث إنه فى داخله يحمل أشواقًا لا تدركها الحواس، وبقايا إيمان قديم طمسته رؤيته المادية؛ فقد كان قبل أن يتخصص فى الاجتماع يدرس الفلسفة ليدافع فلسفيًا عن حرمة الدين.

تصبغ هذه الرؤية المادية وجهة نظره للحياة فلا يرى فى الحياة البشرية إلا كونها فترة زمنية مليئة بالألم والعذاب والأمراض، وتنتهى بالموت.

على النقيض من تلك الرؤية نجد الرؤية المثالية التى تتوزع على عدد من الشخصيات فى الرواية، هؤلاء الذين يرون فى أسماء الأمراض أسماءً للملائكة، ومن يشعرون بوزن الملائكة الكتبة على أكتافهم، ومن يفرقون حتى بين رائحة الملائكة، ويسمعون دومًا صوت أجنحتهم، ومن تفوح منهم عند الموت رائحة الياسمين، كما حدث مع منصور أحد أبطال الرواية.

ولكن أكثر الشخصيات تعبيرًا عن تلك الرؤية هى "سايه" حبيبة يونس، والتى يتأجل زواجه منها حتى انتهائه من رسالته، وهى مثله تعكف على كتابة رسالتها الجامعية، ولكن فى مجال نقيض لمجال دراسته؛ فرسالتها فى فرع الإلهيات، وموضوع رسالتها: (كلام الله مع موسى)، وهذا الفرع المعرفى بالنسبة لها ليس محل دراسة فقط؛ بل محل اعتقاد وإيمان يقينى؛ فهى على نقيض حبيبها المتشكك؛ الذى لا يكف عن التساؤل عن وجود الله؛ متدينة وعلاقتها مع الله لها الأولوية المطلقة عن علاقتها مع البشر، الأمر الذى يدفعها إلى قطع علاقتها مع حبيبها يونس، لأنه وصف كلام الله مع موسى بالأسطورة، وسخر منها لأنها تؤمن بهذه الأساطير؛ رغم تألمها من ذلك، لأنها - على حد تعبيرها - قتلت عشقا من أجل عشق آخر.

والحقيقة أن موضوع رسالة سايه هو المعبر عن جوهر تلك الرؤية المثالية، التى تنظر للماوراء، وتسعى إلى بلوغه، وقد تم تأويل بعض مفردات القصة القرآنية من قبل شخصية سايه بما يوافق تلك الرؤية، فمن وجهة نظرها أن خلع موسى لنعليه هو نوع من الإشارة إلى الوصول أو الوصل؛ فى تماس واضح مع النزعة الصوفية، التى تنتمى أيضا للرؤية المثالية، وتقوم أيضا بنفس النوع من التأويل للآيات القرآنية بما يتوافق مع المصطلحات الصوفية.

إن شخصية سايه، تقوم بإضاءة شخصية محسن بارسا، من خلال تناقضها معها فى تفاعلها مع العشق، فبينما هى قادرة على السيطرة على العشق؛ فإن بارسا سيطر عليه العشق، غلبه ذلك المفهوم الجديد عليه، والذى جاءه متأخراً فكان هذا سبب انتحاره.

ينبغى التوضيح أن بارسا لم ينتحر بسبب الفشل فى الحب - فقد كانت معشوقته تبادله العشق، وحاولت أن تساعده فى فهمه - بل بسبب عدم القدرة على احتماله.

تنتصر الرواية للرؤية الثانية، وتنتهى بإيمان شخصية يونس بوجود الله، وذلك بعد تصحيح طريقة تفكيره، وتوجيهه لرؤية العواطف الإنسانية وتعقدات الحياة الإنسانية بعين جديدة.

وينبغى الالتفات إلى أن سبب ذلك التغيير نابع من ذاته، فقد اتخذ فى الرواية شكل الحلم، ولم تفعل سايه أكثر من تذكيره بما رآه من قبل،

وما هو نابع منه، وكأن الروائى يرى أن الإيمان موجود داخل كل نفس إنسانية، حتى ولو كان صاحبها فى ظاهره متشككا أو ملحداً، فهو لا يحتاج سوى إلى تذكرة بسيطة تعود به إلى حقيقة نفسه المجبولة على معرفة الله والإيمان به.

لقد وجهت شخصية ثانوية إلى يونس سؤالاً وهو فى غمرة شكه وتساؤلاته عن وجود الله من عدمه، يكشف عن حقيقة إيمانه السابق، وذلك حين قيل له: "هل فقدت شيئًا يا سيدى؟". والمفقود هو ما كنت تمتلكه ثم ضاع منك لسبب من الأسباب، ولكن من الممكن استعادته. كما هو الحال مع يونس، فقد فقد إيمانه لفترة طويلة، عانى فيها من عبثية الحياة ولا جدواها، ولكنه فى النهاية عاد إليه فرحًا متهللاً.

إن تلك النهاية السعيدة مما يميز أسلوب الروائى "مصطفى مستور"، فهو يميل إلى النهايات السعيدة، الأمر الذى يشى بوجود الأمل عند المؤلف فينعكس ذلك على نهايات مؤلفاته التى تبعث بدورها على الأمل والتفاؤل.

كما أن من أساليب الروائى، والتى يمكن ملاحظتها فى هذه الرواية، اهتمامه بالوصف غير المباشر فى مقاربة شخصياته، وإبداء وجهة النظر السردية عنها، فبدلا من إعطاء معلومات مباشرة وتقريرية عنها نجده ينشئ مشهداً موازيًا يعد بمثابة المرآة التى تعكس وجهة نظره عن الشخصية دون التورط فى المباشرة التى تنفر منها طبيعة الجنس الروائى.

وإذا أخذنا مثالاً على ذلك، سنجد فى الفصل الأول من الرواية أثناء متابعته لمشهد استقبال يونس لصديقه مهرداد العائد من أمريكا، والذى كان طوال عمره منبهرًا بالغرب، حتى فى صغره كان يستعمل ألفاظًا أجنبية تعبر عن مشاعره، بدلاً من لغته الأم، وحين كبر تزوج أمريكية، وأنجب منها.

هذه الشخصية مدانة من قبل الروائى، خاصة وأنه يشارك يونس أفكاره وتشككاته التى تدينها الرواية، ولكن الروائى بدلا من استخدام التقريرية والمباشرة فى إدانة مهرداد، نجده ينشئ مشهداً موازيًا لطفل منغولى، مشوه الشكل، برأسه الكبيرة وغير الطبيعية، وكأنه يسخر من الأفكار التى تملأ رأس مهرداد.

هذا الأسلوب - الوصف غير المباشر - مبثوت فى أنحاء الرواية، يتخلل نسيجها، بحيث نعتبره إحدى التقنيات السردية التى تمتاز بها روايات مصطفى مستور بشكل عام.

كما أن من أساليب الروائى استعماله للغة فى كافة تجلياتها ومستوياتها، وأبعادها، فهو يستخدم اللغة فى معياريتها (اللغة الفصحى)، وفى شعبيتها (العامية)، بل ولا يستنكف من كتابة ألفاظ، وجمل طويلة باللغة الإنجليزية.

وقد حرصت الترجمة على تبيان هذه المستويات اللغوية، وحرصت على إظهارها فى الترجمة، حيث لم يفعل الروائى ذلك اعتباطا، بل هو

محسوب بدقة، لتبيان الفروق المعرفية، والاجتماعية، والنفسية، بين شخصيات الرواية، بما يعبرون عنه من فروق تتخلل بنية المجتمع الإيراني.

فالعامية مثلاً تستخدم على لسان الأطفال، نظراً لعدم تكون ملكتهم اللغوية بعد، التي تسمح لهم بالحديث والتعبير عن أنفسهم بالفصحى، وكذلك تستخدم العامية على لسان الطبقات الدنيا من المجتمع الإيراني، التي لم تسمح لها ظروفها بتلقي التعليم الذي يؤهلها للحديث بالفصحى.

وفيما يخص عمل المترجم، فقد وردت أسماء الأماكن الإيرانية، وأسماء شهور التقويم الإيراني، في المتن، باللغة الفارسية، وتمت ترجمة معانيها في هوامش أسفل الصفحة، وذلك حرصا على استكمال نقل روح النص الأصلي ودفقته الحضارية كاملة بغية الوصول إلى الفهم والاستيعاب الكاملين قدر الإمكان.

وأخيراً فهذه الرواية التي بين يدي القارئ، تخاطب الشعور والروح والعقل، بلا استثناء، وتدفعنا للتأمل في كل ما يحيط بنا من ظواهر، وفي كل ما بداخلنا من مشاعر.

المترجم

**أحمد عاطف**

## ( ١ )

أشترى بضعة أغصان من ورد أركيدة البنفسجى اللون وأضعها على الكرسى الخلفى للسيارة، ثم أتوجه إلى المطار على إسفلت طريق كرج. الشمس فى الأفق تلفظ أنفاسها الأخيرة. ذهب "مهرداد" منذ تسع سنوات إلى أمريكا بعد عامين من قبولنا فى قسم الفلسفة بجامعة طهران.

ظل مهرداد يتبادل الرسائل مع صديقته بالمراسلة حتى أصبح عاشقا لها بشكل تام؛ فترك دراسته وذهب إلى أمريكا وراءها . منذ فترة طويلة كنت قد نسيت مهرداد إلى أن اتصلت والدته وطلبت منى أن أذهب إلى المطار لاستقباله، كثيراً ما ضغطت على ذهنى كى أتذكر تفاصيل وجهه. أتجه من الطريق السريع فى اتجاه طريق المطار؛ فتتداعى لا إراديا على ذهنى ذكريات المدرسة. الطاولة الخشبية؛ التى كنا نجلس خلفها أنا و مهرداد؛ كانت مملوءة بالأشعار التى حفرها بسن سكين صغيرة فوقها، وكانت أكثرها، أشعار العشق لحافظ الشيرازى، والتى لم يكن بها قط معشوقة أجنبية. ولم يكن مهرداد يكتب الشعر

فوق الطاولة لحبيبة واقعيـــة، معشوقاته كن جميعا متخيلات. كنت أنا فقط من يعرف هذا. الأولاد فى الفصل كانوا يظنون أنه يعرف فتيات كثــيرات.

أما أنا فكنــت أعــرف أن مـهرداد ليس لديه حتى الجـرأة للنظر إلى فتاة؛ فكيف له أن يصبح عاشقا، لكن أنا نفسى لا أدرى ما الذى رآه فى جوليا صديقته الأمريكية حتى يصبح عاشقا لها.

فى الفترة الأخيرة كان يكتب شعرا. وكان يعطى أشعاره إلى بابك الذى كانت لغته الإنجليزية أفضل منا جميعا راجيًا إياه أن يترجمها له. وبعد ذلك كان يرسلها بالبريد إلى جوليا. وذات مرة حينما كان يحفر بالسكين شيئا على سطح الطاولة الخشبية؛ رآه الأستاذ "كوهى" – أستاذ الرياضيات – فألقى قطعة من الطباشير نحوه وذهب غاضبا تجاهه؛ فوضع مهرداد كراسته فوق ما كتب حتى لا يرى الأستاذ كوهى ماذا كتب. وحينما رفع الأستاذ كراسته، ووجد ما وجد، لم يكن نصيب مهرداد من الأستاذ إلا الضرب والطرد من الفصل، واستطاع الأولاد فى الفصل أن يقرؤوا ما حفره مهرداد على الطاولة. كان مهرداد قد كتب بخط سيىء:

(I Love You)[1].

---

(١) أحبك. (المترجم)

يعلن صوت لطيف من مكبرات الصوت فى صالة المطار عن هبوط الرحلة رقم ٣٥٢ التابعة للخطوط الجوية البريطانية، بعد لحظات قليلة، فى مطار مهرآباد[٢]، وعلى مسافرى الرحلة ٩٤١ المتجهة إلى فرانكفورت التوجه إلى البوابة رقم ٦ لأخذ بطاقة صعود الطائرة. النداء الأخير لركاب الرحلة ٥١١ والمتجهة إلى أثينا يرجى التوجه إلى المدخل رقم ٣ للصعود إلى الطائرة.

ما أكثر الناس! فقد انزعجت من كل هذا الزحام. يلمع باركيه أرضية صالة انتظار المطار. والناس الذين يمشون كأنهم يحرصون ألا يتزحلقوا. فتاة صغيرة تضع قناعا مخيفًا على وجهها وتقريبا تجرى خلف أمها. رجل يشعل سيجارته وتحيّر أين يلقى عود الكبريت. طائرة تهبط. طائرة تقلع. أرقام وحروف اللوحة المقابلة لى تدور بسرعة عجيبة حتى تتوقف على أنقرة: طهران رحلة رقم ٧٥٩. أقول فى نفسى: هل لله وجود؟

مرة أخرى ينتشر الصوت فى صالة المطار: "بعد لحظات سوف تهبط طائرة ركاب الخطوط الجوية الإيرانية القادمة من أنقرة فى مطار مهرآباد". يتزاحم الناس لرؤية الركاب. أرفع باقة الورد فى يدى إلى أعلى كى لا تتلف. وأرى مهرداد من بين الركاب. كان يرتدى سترة جلدية بنية اللون وبنطلونًا جينسًا أزرق فاتحًا. وكان يرتدى نظارة سوداء وقد

---

(٢) المطار الدولى بطهران. (المترجم)

بدا أمريكى المظهر؛ فهو لا يزال كما كان شديد النحافة؛ لكنه ازداد طولا فقط واخضرّ شاربه. حينما خرج من بين الناس ذهبت نحوه:

- "السلام عليكم يا مهرداد".

مرت عدة لحظات حتى عاد بذاكرته إلى الماضى بضع سنوات من خلف زجاج نظارته السوداء ليتذكرنى بين طاولات الفصل الخربة والمكسرة. ويعانقنى. أتعجب حينها من صوت بكائه الهادئ حينما أسمعه، وأضع باقة الورد فى عنقه وأقول له: "لا تحزن، أنت لست صغيراً حتى تبكى!".

وبنفس الشكل الذى عانقت به مهرداد، أرى من فوق كتفه فى نهاية صالة انتظار المطار امرأة تأخذ بيد طفلها المنغولى الشكل، وتذهب باتجاه بائع الصحف والمجلات بأحد أركان صالة الانتظار. رأس الطفل كبيرة وغير طبيعية بشكل غريب.

يقول مهرداد: ليتنى لم أكن.

أفكر مع نفسى: احتمال ألا يكون لله وجود.

أقود السيارة فى طريق المطار حتى "رستوران برگ"[٣] تحت الأمطار الشديدة. أريد أن أتحدث معه قليلا قبل أن أوصله إلى المنزل.

---

(٣) أحد المطاعم فى طريق مطار مهر آباد بطهران. (المترجم)

لا أدرى ما الخطأ الذى أخطأه فى فلوريدا بأمريكا أو ما الذى رآه حتى يقطب جبينه الآن مثل الأطفال ويسرح مع نفسه.

نجد فى ركن خالٍ من المطعم طاولة لشخصين، ونجلس فى هذا المكان. إلى أن أطلب الطعام يغسل مهرداد يده ووجهه ويعود؛ ليجلس على الكرسى المقابل لى. كنا أواخر شهر "ديسمبر"[٤] حيث بدأ الجو فى البرودة. المطعم كان خاليا تقريبا. فقط يجلس على بعد عدة طاولات شاب وفتاة بجانب الشباك. يخلع مهرداد نظارته؛ فأستطيع أن أرى كل وجهه بعد تسعة أعوام.

أقول: "أريد أن تحكى لى عن أجمل أماكن فلوريدا وفى البداية وقبل أى شىء أن تحكى لى عن جوليا".

يبتسم بمرارة ويقول: "ما أبرد الجو".

يحضر الخادم الطعام ويضعه على الطاولة. أنظر إلى الشاب والفتاة اللذين جلسا على بعد عدة طاولات منا؛ فكلا منهما ينظر فى عين الآخر، ولا أستطيع حتى أن أخمن ما الشىء الذى يكتشفانه فى عينىّ بعضهما البعض.

يضع مهرداد بضع قطع بطاطس محمرة فى طبقه. كنت جائعا بشدة مثل ذئب.

---

(٤) دى ماه. (المترجم)

أقول: "أحوالى مضطربة إلى حد كبير. فأرجوك لا تجعلها تزداد سوءا. لم تقل ماذا فعلت مع جوليا؟".

يضع مهرداد قدرا من صلصة الطماطم على البطاطس، ومرة أخرى تستقر نفس البسمة المريرة على شفتيه؛ لكنه يتحدث فى هذه المرة قائلا: "كنت أعتقد أن المجانين يوجدون هنا فقط؛ لكن جوليا أثبتت أن فى فلوريدا يوجد مجانين كثيرون بقدر ما يحب قلبك".

يسكت قليلا، ثم يستمر فى الحديث قائلا: "هى نفسها واحدة منهم".

"يعنى هناك أيضا يوجد أناس هكذا، مثلى ومثلك؟".

"جوليا أكثر جنونا منى ومنك".

أقول مبتسما: "أكثر جنونا من "على رضا؟".

يفكر مهرداد للحظة؛ ربما حتى يتذكر على رضا، بعد ذلك يضع قطعة بطاطس فى فمه، ويسأل: صحيح، ما أخبار على رضا؟".

"بعد أن ذهبت إلى أمريكا ببضعة أشهر؛ ذهب هو إلى الجبهة عدة مرات. بعد ذلك عاد من الجبهة بعد قبول القرار[٥]، وحصل على بكالوريوس هندسة كمبيوتر من جامعة أمير كبير الصناعية[٦]. بعد ذلك حصل على الماجستير أيضا فى الهندسة الإلكترونية".

---

(٥) قرار إنهاء الحرب العراقية الإيرانية.

(٦) أحد أكبر الجامعات الإيرانية فى مجال العلوم الهندسية بطهران.

يسأل: وماذا فعلت أنت فى دراستك؟".

أجيبه مازحا: "أنا مثل الأطفال الشطار. درست فى البداية الفلسفة وبعد ذلك أيضا درست الماجستير فى علم الاجتماع، وأكتب الآن رسالة الدكتوراه فى تخصص البحث الاجتماعى".

أصب قليلا من ماء الليمون فى كوبى، وألقى نظرة على الشاب والفتاة اللذين يضعان أيديهما فى أيدى بعضهما الآن، وكأنهما يجربان لمس الأيدى وأقول: "أما أنت؛ فماذا فعلت أيضا فى دراستك؟"

ينظر من النافذة إلى خارج المطعم؛ حيث قطرات المطر بالخارج تُرى فقط فى نور المصباح الكهربى. يضع الشوكة على حرف الطبق ويقول: "فى العامين الأولين كنت مجنون جوليا. بعد ذلك درست الفيزياء، تخصص علم النجوم. الآن أيضا مضى عام وأنا أدرس الماجستير فى نفس تخصص علم النجوم. فى أول عامين كنت أجلس بالساعات أحدق فى جوليا، وهى كانت تبتسم فقط لما أفعله. بعد ذلك تزوجنا".

يسكت بضع لحظات، وبعد ذلك يحملق فى السكين فوق الطاولة، ويقول: "دائمًا ما كانت تسرح مع نفسها، وتقول إن لديها دلائل كثيرة تثبت أنه لا يجب أن تكون موجودة، لهذا السبب دائما ما قد تتعجب لوجودها؛ فهى تبحث عن دليل مقنع لوجودها".

يخرج محفظته من جيب قميصه ويرينى صورة جوليا. كانت واقفة بجوار سوبر ماركت وترتدى بلوزة بيضاء وجيبة سوداء طويلة وقد جمعت شعرها خلف رأسها وعقدته.

- "إنها فتاة جميلة".

يمسح "مهرداد" زجاج نظارته بمنديل ورقى، ويقول: "لم تكن مطلقا تعطى بالا أو أهمية لهذه الأشياء. فهى تريد أن تعرف أين كانت فى الفترة ما قبل الخمسة والعشرين عاما الماضية، يعنى بالضبط قبل ولادتها؛ فهى لا تعرف لماذا خمسة وعشرون؟ لمَ لم تولد قبل عام من الخمسة وعشرين أو بعد عام منها؟. تتساءل: العالم موجود من آلاف السنين لكنها لم تكن موجودة؛ فما الدليل على وجودها فجأة ليلقى بها إلى الحياة فى الخمسة وعشرين عاما الماضية؟ و ما هى أيضا تلك الحياة المليئة بالعذاب والألم والفقر والمرض والحزن؟ والتى تنتهى فى النهاية أيضا بالموت. فجوليا تأخذ إشكالات الخلق والحياة والموت بمحمل الجد وهذا يجعل حياتها صعبة ومريرة".

أشعر برعشة خفيفة فى يدىّ.

يرفع مهرداد ياقة جاكته الجلدى حول رقبته ويقول سائلا: "ألم تتزوج بعد؟"

أنظر إلى النادل الذى يحمل الحلوى الآن إلى الشاب والفتاة، وأقول: "لا. لم أتزوج بعد. فى الواقع أنا مشغول الآن برسالة الدكتوراه الملعونة".

الشاب كأنه يحكى قصة مثيرة وشيقة إلى الفتاة التى تجلس أمامه، وكان يلوح بيديه فى الهواء ويؤدى حركات تجعل الفتاة تستغرق فى الضحك بشدة.

يمسح مهرداد شفتيه بمنديل ورقي، ويقول: "ما هو موضوع رسالتك؟".

- "من المقرر أن تكون عن تحليل علم الاجتماع لعلة انتحار دكتور "محسن بارسا"؛ الذي ألقى بنفسه منذ عامين من الطابق الثامن لمبنى مكون من ستة وعشرين طابقا. وقد اشترت مؤسسة الأبحاث الاجتماعية الرسالة مسبقا، ومن المقرر أيضا أن أسلم الرسالة بعد ثلاثة أشهر. بعد ذلك فلتفعل الدنيا معي ما تراه، وربما أجد لنفسي جوليا إيرانية. صحيح، لماذا لم تحضر جوليا معك؟ بهذا الوصف الذي وصفته بها؛ أتمنى أن أراها.

يتغير وجه مهرداد بوضوح. ويُطْرِق واضعا رأسه بين يديه ويضغط بهما على صدغيه.

أسأله قائلا: "هل أنت بخير؟".

يقول دون أن يرفع رأسه: "ابنتي الآن عمرها أربعة أعوام. منذ عامين أصيبت والدتها بالسرطان، وساءت حالتها النفسية أيضا. جوليا تقول إن أفضل افتراض هو ألا يكون لله علاقة بهذا الأمر؛ لأنه في هذه الحالة فقط لسنا مجبورين أن نعلق في عنقه ذنب وجود أمراض لا علاج لها. تقول جوليا إن هذا ليس إنصافا أو عدلا؛ أن يواجه الإنسان في حياته موانع ومشكلات لا يستطيع الخلاص منها".

لا زال يتكئ برأسه على يديه.

أقول: "كيف حالها الآن؟".

ثبت نظرته على الطبق الخالى فى وسط الطاولة. ثم قال: "حينما يموت الناس، ما الشىء الذى يفقدونه، ولم يزل الأحياء لم يفقدوه؟ ما الفرق بين الميت والحى؟".

فى الواقع لا أريد أن أخمن.

يستمر قائلا: "اقتربت جوليا من الموت إلى أقرب حد ممكن، إلى أقرب مكان يمكن فيه للإنسان أن يقترب من الموت، لكنها لازالت حية".

يصيبنى بالذهول، ولا أستطيع أن أبتلع اللقمة فى فمى. وأتضايق من نفسى لأننى قد أوصلت الكلام والحوار معه بصورة حمقاء إلى هذه النقطة.

أقول مسرعا: "أنا آسف جداً. فى الحقيقة، أنا آسف".

يبكى مهرداد مثل الأطفال.

أسكت عدة لحظات، وبعد ذلك أتابع الحديث قائلا: "أنت تعرف معنى الحياة أفضل منى. الحياة هكذا، أنا لا أريد أن أهون عليك، لكن أحيانا ما تحدث أشياء فى حياتنا لا نستطيع أن نمنع حدوثها. أتفهم هذا؟ لا نستطيع! وعدم المقدرة فى مثل هذه الحالات هو التفسير الوحيد الذى يمكن القيام به".

يضع مهرداد جبينه على حافة الطاولة، ويحاول أن يسيطر على نفسه. أنظر على بعد عدة طاولات؛ فقد ذهب الشاب والفتاة، وأخذ النادل ينظف طاولتهم الخالية.

## ( ٢ )

أصل إلى شقتى بعد منتصف الليل. وقد تركت مهرداد بنفس حالته السيئة بمنزل والدته. مازلت أفكر فى جوليا وكلامها. أفكر فى مهرداد. أفكر فى ابنة مهرداد البالغة من العمر أربع سنوات، والتى قد نسيت حتى أن أسأل عن اسمها. أشعر أن حرارة جسدى ترتفع بشدة. أفتح النوافذ وأسترخى على السرير. بعد ذلك أفكر كثيرا فى دكتور "محسن بارسا" حتى يغلب علىّ النوم. لا أعرف الوقت الذى أستيقظ فيه من النوم مثل المجانين وأجلس. وتخرج الحرارة بشدة من عينىّ ويدىّ وجبينى دون أن تنخفض.

شىء كأنه قطعة من الفحم أو الحطب أو كأنها غابة تشتعل من الداخل ولا نهاية لاشتعالها. أشعر من الصداع أن رأسى تكاد تنفجر، ثم يهدأ الصداع فجأة وأتصبب عرقا. أشعر بالعطش والألم مرة أخرى. وكأن رأسى يتورم ويهبط. أمد يدى نحو كوب الماء؛ فأشعر أنه يبتعد ويبتعد وأشعر أن قبضة تضغط وتقبض قلبى المضطرب الغريب من الداخل. أستلقى على السرير فتهبط بى سوست السرير إلى أسفل

وترتفع بى إلى أعلى ثم تهبط حتى تتوقف. يا لها من ليلةٍ نحسٍ! لمَ لا يطلع الصبح؟

أضع منديلا مبللا بالماء على جبينى. تتبخر قطرات الماء منه وتنخفض الحرارة من جبينى. أجلس على حافة السرير. وأضع قدمىّ فى دلو ملىء بالماء. أشعر كأن شيئا مثل النسيم يجرى من باطن قدمىّ إلى أعلى رأسى.

أشعر بالبرودة بعد ذلك ترتفع حرارتى بشدة: حرارة مرتفعة تصاحبها رعشة. الله لا يُقَدِّر، هل سأموت؟ أنا لازلت لم أفعل ما أريد. لابد قبل الموت أن أحقق ذاتى فى شىء. يجب أن أنشب أظافرى فى التراب حتى أحفر أثرا لأظافرى حينما يسحبوننى بالقوة فوق الأرض؛ فأبقى على ذكرى أثر مكان أظافرى. لابد قبل الرحيل أن أترك لنفسى مكانا. لو أننى اليوم لم أبقِ شيئا أو أثرا عنى؛ فمن الشخص الذى سيعرف فى المستقبل عن وجودى فى الماضى؟ لو لم يرَ الآخرون أثر قدمى؛ فأنا لست موجوداً. لكننى أريد أن أكون. لا أريد أن آتى وأرحل دون أن أخطئ أى خطأ. لا أريد أن أكون مثل أكثر البشر الذين يأتون ويرحلون ولا يرتكبون أى خطأ، وأن أصبح فى التاريخ بلا ميزة. لا أريد أن أكون عنصراً سلبيًا فى تاريخ البشرية. آه أين أمى؟ أين مونس أختى؟

اللعنة على كل الأبحاث! يا لحظ محسن بارسا!

أيها الطالب السيىء الطالع، إن كنت لا تستطيع أن تبرهن أو تجد سببا لوفاة إنسان ما فلمَ أنت حي؟

فقد ارتبطت شهادتى وعملى، وشهرتى، وعشقى ومستقبلى بإنسان ميت. لم يجتمع قط كل هذا الطالع السعيد كما اجتمع فى هذه النقطة. وذلك أيضا فى إنسان ميت، فى سؤال: لماذا يقوم دكتور محسن بارسا الأستاذ الجامعى والفيزيائى المعاصر البارز فجأة وبدون أن يصاب بالجنون بالذهاب إلى الطابق الثامن لبرج مكون من بضعة وعشرين طابقًا، وبعد ذلك يلقي بنفسه مثل شاب عاشق واله المشاعر من الشباك إلى الشارع فوق الإسفلت؟ أيها الطالب السيئ الحظ! بعد قراءة هذا الكم من الكتب لو لم تستطع الآن أن تجد إجابة علمية مرتبطة بعلم الاجتماع لهذا السؤال؛ فلن تحصل على شهادتك فى مرحلة الدكتوراه، وستصبح مجرد خريج أبتر لا جدوى منه. إنك لن تنشر كتابا لنفسك كما أنك لن تصل إلى الشهرة، والشخص غير المشهور ليس له وجود. أعنى أنه موجود، ولكن فقط موجود من أجل نفسه وليس من أجل الآخرين. والشخص الموجود لنفسه فقط وحيد. وأنا أخاف من الوحدة.

# ( ٣ )

قمت بعمل إعلان لعدة أيام في الجرائد، كُتب فيه أن كل من لديه معلومات مفيدة أو يعتقد أن معلوماته مفيدة عن دكتور محسن بارسا يتصل بمنزلي أو بمكتبي في مؤسسة الأبحاث الاجتماعية. لدى أقل من ثلاثة أشهر كي أنهي رسالتي.

الأمور تسير ببطء. وكل المعلومات التي حصلت عليها لا تتعدى بضعة أسطر: محسن بارسا. بالغ من العمر أربعة وثلاثين عاما. أعزب، حاصل على الدكتوراه المتخصصة من جامعة برينستون أمريكا في قسم الفيزياء كوانتم. سبق له التدريس لمدة أربعة أعوام في الجامعات الإيرانية، مواد التدريس: مباني الفيزياء الحديثة، النسبية العامة ونظرية الكوانتم. وقام بتأليف أربعة كتب علمية في مجال الفيزياء الحديثة. من وجهة نظر زملائه في العمل: قيِّم على أنه إنسان منظم جدا، محافظ وحاد ومدقق إلى حد ما. شخص لديه استعداد شديد ونبوغ فائق في التحليل الرياضي لموضوعات الفيزياء.

أما طلابه؛ فكانوا يعانون كثيراً من طريقة تدريسه، من طريقة وضعه لأسئلة معقدة في الامتحانات، إلى جانب الخسة والبخل الزائد

عن الحد فى إعطاء الدرجات. بعض الطلاب ربما كانوا مسرورين من أعماق قلوبهم بأن "بارسا" قد مات.

كان هذا كل شيء كنت قد حصلت عليه عن دكتور محسن بارسا.

أُخرج ساندويتشا من داخل حقيبتى، وألقى بالمذكرات المتعلقة ببحثى فوق المنضدة، وأخرج جدول التدريس الأسبوعى لبارسا من بينها. وأقضم قطعة من الساندويتش.

أجعل التقويم على الطاولة على السابع عشر من أكتوبر(٧).

اليوم الذى انتحر فيه بارسا - السابع عشر من أكتوبر - كان يوم أربعاء، وطبقا لجدوله الدراسى؛ فإنه كان يجب أن يدرس فى الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم كوانتم. أفكر فى أن أتحدث مع كل الطلاب الذين كانوا حاضرين يوم الأربعاء فى صف الكوانتم؛ فربما تحدث بارسا فى تلك المحاضرة الأخيرة - يعنى؛ بدقة؛ قبل خمس ساعات من انتحاره - بشأن الباعث لهذا العمل، أو يكون قد أشار إليه خلال المحاضرة.

وربما يتم التوصل إلى بداية خيط، ربما...

يرن جرس التليفون. أرفع السماعة قائلا:

---

(٧) مهر ماه.

- "مؤسسة الأبحاث الاجتماعية، تفضل".

- "ألا زلت موجودا عندك؟".

- "سايه... أنت؟".

- "الآن الساعة الثالثة بعد الظهر! وقد اتصلت بالشقة ولم تكن موجودا. فماذا تفعل عندك؟ إياك أن تكون لازلت تفكر فى ذلك الدكتور؟ لقد ذكرت لى اسمه من قبل.. فماذا كان اسمه؟".

- "بارسا. محسن بارسا". إننى أتناول ساندويتش هامبورجر. أنت كيف حالك؟

- "إننى أريد أن أراك؟".

- "أيناسبك بعد العصر فى حديقة "هفت بهشت"[٨].

- "حسنا. فى نفس مكان كل مرة. بشرط ألا تتكلم عن بارسا".

- "فى انتظارك فى الساعة الخامسة".

أضع السماعة وأسترخى على الكرسى. أدقق النظر فى فهرس أسماء الطلاب التسعة عشر الذين حضروا آخر محاضرة لدكتور بارسا. أضع الفهرس داخل ملف أصفر اللون كتبت عليه بخط سيىء: "بارسا"، وأبلع قطعة من الساندويتش.

---

(٨) اسم حديقة فى طهران وترجمتها: السبع الجنان.

سايه تبتسم فى الصورة الأبيض والأسود التى وضعتُها تحت زجاج منضدتى، يرن جرس التليفون. أرفع السماعة بسرعة. فتاة تتحدث الإنجليزية بصوت متقطع، مرتبكة ومسرعة ومتعجلة. لعدة مرات أوضح لها بالإنجليزية المكسرة أنها قد طلبت رقمًا خطأً؛ لكن الفتاة تتحدث فقط مثل الراديو ولا تسمع الكلام:

**He knock on the door but I did not open it. he in sited and in sited but I still kept the door shut . then he begged and ignored him(9)..............................................................................................**

بعد ذلك بكت الفتاة ووضعت السماعة. أتعجب من بكائها وأضع السماعة. تقع نظرتى على زجاج مكتبى حتى تصل إلى صورة أبيض وأسود؛ وتثبت فى ذلك المكان. ألقى اللفافات الورقية التى كانت تغطى السندوتش فى سلة المهملات.

---

(٩) "أخذ يدق الباب؛ لكنى لم أفتحه. وأصر واستمر فى إصراره؛ لكنى أبقيت الباب مغلقا. بعدها توسل؛ لكنى تجاهلته....".

## ( ٤ )

أشترى جريدة وأجلس على أحد المقاعد الحجرية النائية فى حديقة "هفت بهشت". تهب الرياح باردة. الحديقة خالية. أتصفح الجريدة: انخفاض قيمة العملة. بدء الاستفادة من مئات المشروعات العمرانية والإنتاجية. الإقلاع عن الإدمان فى مدة ستة أيام بالإبر الصينية. مؤسسة الزعامة فى السرعة والتكنيك. الدروس الخصوصية. تصوير لمجالس التعزية. المبانى الفلسفية لبريد الحداثة. حفر بئر. سافروا مع شركة "جهان تور" إلى قبرص، وماليزيا، وسنغافورة، واليونان، وتركيا، والهند. إنا لله وإنا إليه راجعون، الصديق العزيز، جناب السيد حاجيان، نتقدم بالعزاء والدعاء بطول العمر لكم ولأبنائكم الأعزاء بقلوب مفعمة بالأسى والحزن لفقدان كريمتكم المؤلم... تمر قطة بسرعة من أمامى، وعلى مقربة تحت إحدى الأشجار تنظر فى خوف حولها، وقد أخذت قطعة من اللحم فى فمها وتبحث عن مكان آمن لتأكلها. تتسلق إلى أعلى الشجرة وتبقى فوق أحد الأغصان بشكل غير متوازن حتى تنتهى من أكلها. ولما نظرت كى أرى قطة أخرى تهددها فى ذلك المكان فلم أرَ. لا أفهم لماذا القطة قلقة ومضطربة إلى هذا الحد؟

أفكر مع نفسى لماذا يجب أن تحترق الحيوانات معنا نحن البشر من أجل البقاء أحياء. لماذا القطط موجودة؟ لماذا الخلق بكل هذا الزحام؟ كلاب، قطط، فئران، نمل، أحجار، بحار، جبال، نجوم، أيام، بشر، بشر، بشر، بشر، بشر...

- "سلام يا يونس. هل تنتظر منذ وقت طويل؟".

- "سلام. لا لقد أتيت توا، أتحبين أن نذهب إلى اليونان؟".

- "اليونان!".

- "هنا، معلن عنها فى هذه الجريدة. فما رأيك بأن نقضى شهر العسل فى اليونان؟".

تجلس سايه إلى جانبى.

- "وتقول بأسلوبك البارد هذا؛ فلا أعتقد أننا سنذهب ولو بعد عشرة أعوام إلى أى مكان حتى ولو فى الخيال.. فضلا عن اليونان".

أضع الجريدة على الكرسى.

- "هذا أيضا تقصير والدك؛ فهو لن يسمح لنا بالزواج قبل أن أحصل على الدكتوراه".

تخرج سايه مرآة صغيرة من حقيبتها، وتحملق فى نقطة من وجهها.

- "انظر يا يونس، أنا لا يعنينى كلام والدى، لكن مر الآن قرابة العام وأنت لم تكتب الرسالة. فى البداية قمت بتغيير الموضوع عدة مرات، وبعد ذلك أيضا فى المدة التى اخترت فيها أنت الموضوع بنفسك لم ينل إعجاب وقبول أستاذك".

أضع الجريدة فوق المقعد وأنظر إلى القطة فوق الشجرة، حيث قد أتمت الآن طعامها. أقول بلسان حالي: "ليس لهم إحساس ليدركوا صعوبة رسالتى".

تضع سايه يدها مرة أخرى فى حقيبتها، وتبحث عن شيء.

- "ماذا فعلت أنت فى رسالتك؟ وماذا كان موضوعها؟".

- "مكالمات موسى مع الله".

سايه تخرج ملقاطًا من داخل حقيبتها، وبدقة تقتلع شعره من حاجبها لم تكن متناسقه مع باقى شعر الحاجب.

أضع يدى فى جيب البالطو، وأقول: "قولى لوالدك أن يصبر ثلاثة شهور أخرى، وأنا سأحاول أن أنهى الرسالة فى هذه الأشهر الثلاثة. فى الحقيقة أنا أيضا تعبت، لابد أن هذا من سوء حظى حيث يتعقد زواجى بسبب شخص ميت، ولكن فى النهاية يجب أن يُعرف ماذا أصاب هذا الشخص - "دكتور محسن بارسا" - من علة؛ كى يذهب إلى هذا الارتفاع ويلقى بنفسه إلى أسفل؟".

تقفل سايه سوستة حقيبتها وتخرج يدى من جيب البالطو، وهى تبتسم وتضعها فى يديها، وتقول: "أظن أنه كان من المقرر ألا تتحدث عن بارسا يا سيادة الدكتور!".

أبتسم وتقع عينى على إعلان عزاء زوجة السيد حاجيان الموجود فوق المقعد، ويظهر جزء منه من تحت حقيبة سايه.

# ( ٥ )

كان الوقت متأخرًا حينما وصلت إلى شقتى. كنت متعبًا جدا وفى حالة يرثى لها. كنت على وشك النوم وكاد النوم يغلبنى فعلا، وأنا واقف داخل المصعد الذى كان ينقلنى إلى الدور التاسع. فى هذه الأيام المعدودة مشيت بقدر كل عمرى وحياتى، وتكلمت ودونت خواطر وسألت ولم أحصل على جواب وتعبت بشدة. آخذ تفاحة من داخل الثلاجة وأضغط على الأنسر ماشين (جهاز استقبال المكالمات):

- "سلام يا سيد، كنت أريد أن أقول: إن الإنسان يجب أن يكون عاطلا حتى يضيع وقته فى بحث علمى عن رجل ميت؛ بدلا من كتابة هذا البحث عن الأحياء... سلام يا يونس، لقد اتصلت بك عدة مرات ولم تكن موجوداً. حينما يكون عندك وقت اتصل بى. عندى بعض الأسئلة حول رسالتى، وأعتقد أنه يمكنك الإجابة عليها. سايه".

- "سلام يا يونس، أنا مهرداد. ليس لدى أمر خاص. أنا متضايق وكنت أريد التحدث معك قليلا. حينما يكون لديك وقت فراغ اتصل بى".

آخذ قطعة أخرى من التفاحة وأسترخى فوق الكنبة. ليس لدى حتى المقدرة على خلع حذائى. لقد أتعبنى العثور على سبعة عشر طالبًا من تسعة عشر طالبا هم طلاب آخر محاضرة لدكتور بارسا، والكلام والسؤال والاستماع وعدم الفهم الكامل. أقوم وأفتح النافذة المطلة على الشارع. لم أحصل على شىء يذكر. كان بعض الطلاب يقولون إنه لم يبقَ شىء فى ذاكرتهم. بعضهم كان يقول إن بارسا كان يبدو حزينا فى ذلك اليوم، ولكن كل الطلاب تقريبا كانوا متفقين على هذا الموضوع، وهو أن بارسا كان أكثر طيبة فى هذا الفصل الدراسى من الفصول الدراسية السابقة.

أنظر إلى أسفل. السيارات مثل فئران قد أشعلوا النار فى رأسها، وهى تسير فى عجلة فى هذا الاتجاه وذلك الاتجاه. الآن تبقى فقط طالبتان يجب أن أراهما. أولهما اسمها: "شهره بنيادى"، قد انتقلت إلى جامعة أصفهان والأخرى: "مهتاب كرانه"، قد اعتذرت عن هذا الفصل الدراسى.

أُلقى قلب التفاحة بلا قصد من أعلى إلى أسفل، وأنظر بضع لحظات لسقوط التفاحة الحر فى الفضاء. يضرب جرس التليفون. أغلق النافذة. ينقطع صوت أبواق الفئران (السيارات). أرفع السماعة. سايه تريد أن تعرف حينما تجلى الله لموسى من داخل الشجرة فى الوادى المقدس، وطلب منه أن يخلع نعليه، ماذا كان هدفه الدقيق من خلع النعلين؟ تسأل: هل خلع النعلين له مفهوم مثالى أم لا؟ أنظر من فتحة الشباك إلى المبنى المرتفع المقابل حين ينطفئ مصباح النافذة منه.

أقول: "ما المهم فى الأمر؟ أعتقد أن المهم فى هذا الموضوع أن الله قد تكلم مع موسى، وأن موسى هو البشر الوحيد الذى سمع صوت الله".

تقول: "لأن النعلين هما وسيلة السفر والذهاب، من وجهة نظرى أليس خلعهما نوعًا من الإشارة إلى الوصول أو الوصل؟". ألف سلك التليفون على طرف أصابعى وأجلس على الكرسى، أقول: "ربما".

ولكن "سايه" تريد شيئًا أكثر من "ربما". تريد أن أؤكد لها أن تفسيرها تفسير صحيح. لا أستطيع مساعدتها. على الأقل لا أستطيع فى هذه الأيام.

حينما لا أعرف فعلا أى دليل مقنع؛ لا من أجل إثبات وجود الله ولا من أجل إنكاره، ونوسان الشك مثل نغمة دائمة تذبذبنى بين الإيمان والكفر، يبدو أن الحديث حول موضوع مثل "كلام الله وموسى" ممل إلى حد ما وغير مشوق بالنسبة لى. تصر سايه أيضا؛ لعلها تسمع جوابًا أفضل للفرار من الموضوع. تومض فى رأسى فكرة مثل البرق.

أقول: "ربما على رضا يعرف شيئا حول هذا الموضوع. هل تحبين أن أتصل به وأسأله غدا؟".

تقبل ذلك. نقول لبعضنا: طابت ليلتك ونضع السماعة. كأننى أنتظر سماع أن يضرب جرس التليفون مرة أخرى؛ فأبقى يدى بضع لحظات فوق السماعة، ولكن لا يضرب جرس التليفون. أنظر للحظة إلى الطرف الآخر من الشارع، إلى المبنى المقابل. كل نوافذه صارت مظلمة.

# ( ٦ )

أستيقظ من النوم فى الصباح على تليفون مهرداد. يقول إن لم يكن مزعجا لى؛ فإنه يحب أن يقضى اليوم برفقتى. أطلب منه أن ينتظرنى خارج منزله بعد نصف ساعة.

أضع السماعة وأستلقى مرة أخرى فوق السرير. أحملق لمدة دقيقة فى سقف الغرفة؛ فأجد فلقا رفيعا قد شق الجص فى زاوية الغرفة، ثم أستيقظ وآخذ حماما. بعد ذلك أنزل تسعة طوابق بالمصعد؛ حتى أصل إلى الدور الأرضى والشارع. كان الثلج قد استقر فى كل مكان وكان الهواء نقيًا واضحًا. حينما أجلس فى السيارة أنظر فى ساعتى.

اليوم الثامن من شهر فبراير[١٠].

فى الواقع؛ لم يعد لدى سوى ثلاثة وسبعين يومًا؛ كى أقدم تقريرًا حول بحثى إلى اللجنة العلمية لبحث الرسائل.

---

(١٠) بهمن.

حينما أدخل فى حارة "نسترن"، أرى مهرداد وقد غاصت قدماه فى الثلوج التى تكسو الرصيف وهو ينتظرنى، وقد ارتدى نفس الملابس التى كان يرتديها فى المطار. حينما يجلس فى السيارة، يبدأ كلامه قائلا إنه فقط يريد أن يكون برفقتى ولا يريد مضايقتى. يصر أن أنجز أعمالى وهو بجانبى. أقول ضاحكا: "كل رفقة تكون إلى حد ما مضايقة، أليس كذلك؟".

لا يضحك، ولكن كأنه قد فكر فترة فى هذه المرة، يقول: "ليس فى البداية، ولكن رويدا رويدا ستصبح إزعاجاً وحتى مانعا".

بعد ذلك يقول مبتسما: "وهذه هى خاصية العشق"؛ التى لم أفهم كنايتها.

نذهب مباشرة إلى المكتب فى مقر عملى فى مؤسسة الأبحاث الاجتماعية. فى غرفة ناحية الشمال فى الدور السابع من مبنى مكون من تسعة عشر طابقا. إلى أن فتحت ستائر النافذة. يتطلع مهرداد محملقا فى حوائط وأركان الغرفة؛ حيث ينظر إلى جدارى المتهالك، وبعد ذلك يدقق النظر فى لوحة فوق رأسى هى قطعة من الشعر قد كتبها مبتدئ منذ عامين بخط النسخ. تعليق بصورة بدائية: إننى أتحدث من نهاية الليل/ إننى أتحدث من نهاية الظلمة ومن نهاية الليل/ لو أتيت إلى بيتى/ فلتحضر سراجا من أجلى أيها الحنون. ونافذة حتى أنظر منها إلى زحام الحارة سعيدة الطالع.

يجلس على مقعد إلى جانبى، وتقع عينه على صورة سايه التى كنت قد وضعتها تحت زجاج مكتبى.

- "تبدو فتاة طيبة بريئة.. متى تريد أن تتزوج؟".

أعطى الإجابة المعتادة على سؤاله المؤلم: "حينما أنهى هذه الرسالة. ربما بعد ثلاثة أشهر، ربما أربعة أشهر، ربما أكثر. والد سايه يطلب منى ألا أتحدث عن الزواج حتى أحصل على الدكتوراه".

يرفع نظارته من فوق عينيه ويسأل: "هل هى طالبة؟".

أبحث عن قلم وأنقل الأوراق من مكان إلى آخر فوق المكتب، وأقول: "هى تدرس فى مرحلة الماجستير فى تخصص العلوم الدينية (الإلهيات) وأيضا مشغولة بكتابة رسالتها".

- "فى النهاية أرتبط بفتاة متدينة. كنت أخمن أنك لم تتغير فى هذه السنوات التسع".

أجد القلم بين أوراق النتيجة فوق المكتب وأقول ضاحكا: "تخمينك خطأ تماما. سايه متدينة، ولكننى بحساب النجوم، التى لديك ارتباط بها وتقوم بدراستها، قد تغيرت تقريبا تسعة أعوام شمسية عن يونس الذى كنت تعرفه منذ تسع سنوات ماضية.

يقوم ويذهب إلى جانب النافذة.

- "ما موضوع رسالتها؟".

- "حول موضوع (كلام الله مع موسى)، لكن صدقنى، إنه لم يكن اقتراحى".

يخرج علبة السجائر من جيب الجاكت الجلد ويشعل سيجارة. ولا يزال وجهه صوب النافذة.

- "على ما أتذكر أنك منذ تسع سنوات مضت قد اخترت قسم الفلسفة فقط لهذا السبب، وهو وفقا لقولك حينها أن تدافع فلسفيا عن حرمة الدين".

ينفث دخان سيجارته، وبعد ذلك يقول شيئا، بحيث تتملكنى الحيرة من التعجب. وتعجبى كان بسبب أن نفس هذه الجملة قد قالها لى تليفونيا "على رضا" منذ عدة أسابيع: "المفاتيح التى تفتح الباب بهذه السهولة تقفلها أيضا".

مثل هذه الفلسفة التى أغلقت الباب بشكل سيئ، أدون عنوان مفتش المباحث "فيضى" فوق قطعة ورق وأسأل: "فى رأيك هل له وجود أصلا؟" نظرته تتجه إلى الأمام أكثر ثم إلى أسفل على بضعة لوحات إعلانية قد علقوها بالمبنى المقابل.

- "تقول عن الباب أم المفتاح؟".

- "أتحدث عن الله".

كأنه قد رأى جنيا، يلتفت بوجهه نحوى محملقا فى عينى بشكل تام.

أقوم من على الكرسي وأقول: "في رأيك هل الله موجود؟ بالفعل هذا أكثر شيء مهم يريد قلبي أن يفهمه. هذا السؤال بالنسبة لي أهم حتى من هذه الرسالة اللعينة ومن علة انتحار "بارسا" ومن أشياء كثيرة أخرى. أعتقد أن الإجابة على هذا السؤال ستوضح أمر كثير من الأشياء وعدم الإجابة عليه؛ ستبقي أيضا كثيرا من الأمور في الظلام المحض إلى الأبد. موجود أم لا؟".

نبرة صوتي قد ارتفعت قليلا، ولكنني لم أعط بالا لذلك. يقف الآن أمامي تماما.

يكح كحة خفيفة، ويقول: "لا أعرف".

كأنني لم أسمع جوابه وأنفجر بلا هوادة: "ملايين البشر دون أن يؤرقهم هذا السؤال ذرة؛ ينتخبون برامج مدتها ألف عام من أجل عمرهم الذي لا يتجاوز الستين أو السبعين عاما، وأنا دائما ما أتعجب كيف يستطيع شخص دون أن يجد إجابة قاطعة وقانعة على هذا السؤال، أن يعمل، أن يمشي، أن يتزوج، أن يأكل ويشرب، أن يشتري، أن يتكلم أو حتى أن يتنفس. فما الفائدة من التخطيط طويل الأمد، لو أنه غير معروف لماذا نحن موجودون؟ الاحتمال الرياضي لوجود ظهور حياة على هذا الكوكب - حيث لابد أنك تعرف هذا أكثر مني - شيء أقرب إلى الصفر. أتفهم ذلك؟ صفر! لكن هذا احتمال حدوثه صفر ونحن موجودون. هذا الوجود أو بعبارة أخرى تحقق هذا الاحتمال القريب من

الصفر مفهومه هذا، وهو أن الإرادة القادرة وذات الإحساس كانت تميل إلى أننا سنجد الوجود. وهذا هو نفس الشيء الذى من المحتمل أنه كان يؤرق جوليا ويؤذى روحى أيضا صباحا ومساءً مثل المرض. من ناحية أخرى، لو أن الله موجود فلِمَ كل هذه المصائب والنكبات؟ لِمَ كل هذا القدر من سوء الحظ والشر الذى يُمْطِر رأس ووجه الكائنات أين أثر ذلك القادر المحض؟ لماذا الأشياء مضطربة وباعثة للنفور لهذا الحد. أين تلك اليد الحنونة التى رغم مقدار ما ينادونها لا تأتى لمساعدة أى شخص؟ كل يوم تضيع حقوق ملايين الأشخاص فوق هذه الكرة الأرضية، والكل أيضا يطلب المساعدة ولم تحدث حتى معجزة واحدة. حتى واحدة! الظالمون يزدادون ظلما، والضعفاء فى أكناف العالم؛ إما تحت وطأة السيل أو يأتى زلزال وتبلعهم الأرض. ولو نجت أرواحهم يتشردون، ويبتلون بالفقر والجوع والمرض. كل هؤلاء الأطفال (من ذوى الاحتياجات الخاصة) ما الذنب الذى أذنبوه حتى يتعذبوا؟ ما الذنب الذى ارتكبوه كى يولدوا ويعيشوا هكذا من المهد وحتى نهاية العمر - بالطبع إن بقوا أحياء - بالعمى والشلل ونقص الأعضاء وآلاف الآلام الأخرى؟ لابد أنك قرأت تقرير الإحصاء الخاص بالوفيات والوفاة بسبب الجوع ونقص الغذاء. ترتعش أصابع يدى بوضوح. يتحدث مهرداد بصوت مرتفع: "لا أدرى! فكل شىء أعرفه بشأن هذا الموضوع، أعتقد أنك أيضا يجب أن تعرف - يعنى يجب أن تسعى كى تعرف - هذا الذى لا نعرفه؛

فهذا أشرف، وفى نفس الوقت أكثر الأشياء حيطة يستطيع إنسان أن يقولها بشأن هذا السؤال الخطير، وهو: هل للفضاء نهاية أو حدود؟ هل توجد حياة فى مليارات الكواكب الأخرى، والتى يتشكل كل منها من مليارات النجوم مثل الشمس بل والأكبر من شمسنا؟ هل توجد حياة أخرى مبنية على عدم وجود كربون؟ هل توجد أى كائنات حية فى أعماق المحيطات التى يصل عمقها إلى أكثر من عشرة كيلومترات ويحكمها الظلام المطلق؟ جواب كل هذه الأسئلة ومئات الأسئلة الأخرى التى تشبه هذه الأسئلة، أبسط وأسهل بكثير من سؤالك بما يحويه من صعوبة وخطورة. فعلا شىء لا نعرفه. وهذا هو الشىء الذى يقوله العلم لنا. العلم، يكون أكثر ثقة وفى نفس الوقت أصدق آلة قياس حينما يقول لنا بتواضع تام: لا أعلم".

وصلت السيجارة فى يده إلى نهايتها تماما. آخذ نفسا عميقا وأشعر بالراحة. وأضع عنوان مفتش المباحث فى جيب قميصى. يطفئ مهرداد عقب سيجارته فى منفضة السجائر، ونخرج معًا من مكتب عملى. فى الممر، ننتظر أمام المصعد. أقول: "سواء كان فى أعماق المحيطات أحياء أو لا، سواء كان الفضاء متناهيا أو ليس متناهيا، وسواء توجد فى الكواكب الأخرى بخلاف الأرض حياة أو لا توجد؛ فلا يؤثر هذا ذرة فى حياتى. لكن وجود أو عدم وجود الله هو المهم بالنسبة لى. لو أن الله موجود، لما كان الموت نهاية كل شىء، وفى هذه الظروف لو أننى أعيش كل عمرى

على فـرض عدم وجـوده؛ فـإننى أكون قد وضـعت يدى على خطر وهلاك عظيم أنا أشعر بهذا الخطر بكل سُداى ولحمى وعظامى".

تفتح أبواب المصـعد وندخل. تتـحدث سيدة عجوز فى يدها كيس مملوء بالمشـتريات اليومـية داخل المصـعد برفـقة فتـاة شابة كـانت تقف بجـوارها عن ارتفـا ع أسـعـار تذاكـر الأتـوبيس. تقـول إنهـا كـانت واقـفـة طوال الطريق فى الأتوبيس، وإنـهـا مـتـأذية بشـدة من أن قـيمـة أسـعـار التـذاكـر فى غـلاء دائم، ولكن عـدد الأتوبيـسـات لا يزداد فـى أى من الخطوط. يصـعد بنا المصـعد إلى الدور السـابع عشر؛ حيث المكان الذى ينبغى أن تنزل فيه المرأة العـجوز والفـتـاة التى برفقتـها. حـينمـا نهبط. مهرداد يصفف شـعره أمام مرآة المصـعد، ويسـأل: "مـاذا سيحدث لو أن الله غير موجود؟".

- "لو لـم يكن الله مـوجـودا والموت هـو نهـاية كل شىء؛ فـفـى هذه الحـالة فإن الحـياة مع الفرض بوجود الله، فى الواقع فوز عظيم نتيجته البعـد عن كـثيـر من اللذات مع الوضـع فـى الاعتبـار أننا نعيش فـقـط مـرة واحـدة".

تفتح أبواب المصـعد فى الدور الأرضـى ونـخـرج تجـاه المرأب. حينما نجلس فى السـيارة يشـعل مهرداد سـيجارة أخرى ويقول: "على أى حـال هذا السـؤال الذى جوابـه القطعى - ولو كان جوابه إيجابيًا - سنفـهمه بعـد الموت ولـو أن جـوابه سـلبى، يعنى لو أن الله أصـلا ليس له وجـود؛ فلن نعرف مطلقا".

يخرج دخان سيجارته من الشباك، ويستمر قائلا: "لهذا السبب أقول إنه سؤال صعب خطير".

بعد ذلك يقول بصوت حزين: "جوليا تقول عن كثير من هذه الأسئلة إنها أسئلة مهولة وخطيرة".

أخرج من الطريق من خلف شاحنة، وأقود السيارة تجاه محطة بنزين على جانب الطريق السريع. نتوقف لمدة فى زحام محطة البنزين وخلف الشاحنة. يشغل مهرداد مفتاح راديو السيارة. يقرأ مذيع الراديو آخر الأخبار العلمية:

"وُفِّق خبيران فى علوم الكمبيوتر بجامعة استانفورد بأمريكا إلى كتابة برنامج بحث للإنترنت قادر على أن يبحث فى ظرف بضع ثوان دون وجود البريد الإلكترونى عن أى جريدة، أو مجلة دورية أو وكالة أنباء أو كتاب، وأن يأتى بها للاطلاع عليها على صفحة المونيتور. ووفقا لهذا التقرير فإن هذين الخبيرين الشابين قد أمضيا أربعة أشهر من أجل كتابة هذا البرنامج الذى سُمِّى "ياهو yahoo" وحصل كل واحد منهما على مبلغ مائة وخمسين مليون دولار جزاء هذا العمل".

حينما ينتهى الخبر يبتسم مهرداد بسمة جميلة؛ فأعتقد فى البداية أنه يبتسم بسبب العدد الفلكى أو الخيالى وهو المائة والخمسون مليون دولار، ولكن اتجاه نظرته يجعلنى أشك. كان مهرداد يحملق بشدة فى عبارة مكتوبة خلف الشاحنة.

فى الحقيقة لم أعرف أنه ينظر إلى أسفل باب قلاب الشاحنة الذى قد كتب عليه بخط سيئ: "آه.. إن جهنم معك، أفضل من الجنة بدونك، يا من لا وفاء لك!"، أم أنه ينظر إلى كلمتى "ياهو" اللتين كتبتا على الدلايات البلاستيكية للإطار الخلفى للشاحنة، ولا تزالان تقرأن أيضا رغم الطين الذى فوقهما.

## ( ٧ )

مصاعد مبنى المحكمة متعطلة، ونحن مجبورون أن نصعد على السلالم المزدحمة إلى الطابق السادس، وكلما وصلنا إلى بسطة سلم كان مهرداد يتوقف قليلا كي يأخذ نفسه. وحينما أصل إلى الطابق الرابع أرى مهرداد بين جموع الناس على بسطة الطابق الثالث يتنفس الصعداء.

تكتظ جموع الناس بخلاف السلالم، فى الغرف، والممرات وفى فناء المحكمة. امرأة متوسطة العمر تمسك يدى طفليها وتسب وتلعن فى زوجها. ينزل من على السلالم شرطى وقد قيد شابا بالكلبشات من يديه. امرأة عجوز تصعد السلالم مع وقفات طويلة وهى تهمهم بالدعاء.

أبواب الغرف فى الطرقة دائما ما تفتح وتغلق، وكلما أرى شخصا يكون واضعا تحت إبطه ملفًا، امرأة عجوز تسأل امرأة أخرى تمر من جانبها عن عنوان غرفة أو شخص، ولكن المرأة لم تنظر حتى إليها وتختفى بسرعة فى إحدى الغرف. لماذا لم تنظر إليها المرأة؟ يقف بضعة أشخاص بملابس السجن خلف أحد الأبواب منتظرين؛ فماذا ينتظر هؤلاء؟

رجل يجرى بسرعة فى الطرقة، ويصطدم برجل آخر ولكن كليهما لا يهتم للأمر. لماذا كان الرجل فى عجلة من أمره؟ ماذا يريد كل هؤلاء الناس وماذا يفعلون هنا؟ ماذا يدور فى رأس كل واحد من هذه المخلوقات ذات القدمين التى تصعد وتنزل مثل المجانين من على السلالم؟

أسمع صوتا مخيفا من خلفى. يُفْتح باب غرفة وقد أمسك شرطيان بساعد رجل ويخرجانه من الغرفة. يريد الرجل أن يهرب من أيديهم؛ لكن الشرطيين يمددانه على الأرض. يصرخ الرجل هذه المرة بشكل غريب. يقول شخص: "لقد حكم عليه بالإعدام". أبحث عن "مهرداد" بين جموع الناس لكننى لا أجده. أنظر مرة أخرى إلى عنوان المحقق فيضى؛ الذى كنت قد كتبته على ورقة. الرجل المحكوم عليه بالإعدام كأنه يشعر بضيق حلقة المشنقة حول عنقه، يصيح بأعلى صوت له. فأبتعد خوفا منه.

مما أخاف؟

مهرداد يقف أمامه قليلا ويشعل سيجارة. مكتب المحقق فيضى فى نهاية طرقة الدور السادس. يجلس مهرداد على مقعد الممر المعدنى؛ حتى أتحدث مع المحقق. على الرغم من أننى قد تحدثت تليفونيا مع فيضى أكثر من ثلاث مرات؛ إلا أنه قد أخذ عدة دقائق حتى ذكرته بنفسى وتذكرنى.

ولم يكن لديه أدنى اهتمام بملف قضية بارسا، ويقول لأن هذه القضية لم تكن محل شكوك، ولم يكن لها شاكٍ؛ فقد أغلق ملفها.

لم يبقَ شيء من موضوع القضية فى ذاكرته، وفقط مع إصرارى الزائد، وفقط من أجل المساعدة في عمل ثقافي وخدمةً للعلم والعلوم والأبحاث وغيره من التفاهات، يقبل أن يوضع ملف قضية دكتور بارسا تحت أمرى لمدة ساعة، وذلك للاطلاع عليه فى الأرشيف وفى حضور السيد محسن خان مسئول الأرشيف.

آخذ ما كتبه فيضى كخطاب إلى مسؤول الأرشيف وأخرج من غرفته.

أفكر فى ذلك: هل محسن خان اسم مسؤول الأرشيف أم اسم عائلته؟ لا أرى مهرداد على المقعد فى الممر. أبحث فى غرف الممر واحدة تلو الأخرى عن مهرداد؛ لكننى لا أجده. أدقق النظر بضعة دقائق فى الناس؛ فلربما أجده بين الناس الذين يمرون بسرعة من الممر، ولكن لا أثر له. أبحث عنه فى الحمامات، الصالة وحتى فى المصلى، على الرغم من أننى على يقين أنه لن يذهب هناك لكن لا أثر له. يتسلل إلى القلق رويدا رويدا.

لا تزال المصاعد معطلة. أنزل على السلالم، وأبحث عنه بين الناس الذين يصعدون وينزلون على السلالم، ولكنه ليس موجودا. وحينما أصل إلى فناء المحكمة، أقف جانبا كى آخذ نفسى فى أحد أركان الفناء. تظهر الناس من الزحام على هيئة سواد. أذهب نحو الزحام.

الرجل المحكوم عليه بالإعدام الذى كنت قد رأيته فى الطابق السادس، وسط حلقة من الناس ورجال الشرطة من حوله ممسكين بتلابيبه،

فى هذه المرة يتوسل بدلا من الصراخ، وبكاؤه لا يؤمنه وهو ينتحب مثل امرأة قد مات زوجها. أرى مهرداد بين جموع الناس ينظر بشدة إلى الرجل المحكوم عليه بالإعدام، وهو يمسح نظارته.

بعد بضعة دقائق نكون فى بدروم مبنى المحكمة. مسؤول الأرشيف شاب عمره قرابة بضعة وثلاثين عاما، وكان شابا مرحا وقد تساقط أغلب شعره، وكان يعرج قليلا حينما يمشى. يذهب عارجا لبضع مرات بين الأرفف المملوءة بالملفات ويعود؛ حتى يخرج ملفا ممزقا وباهت اللون من بين ملف كبير لحفظ الأوراق. كان هذا الملف قديما جدا، وقد وضعوا فيه ملفات ضعف ما يتسع حجمه، وحينما يعطينى ملف قضية بارسا فى يدى يقول: "هذا أيضا كتاب أعمال السيد بارسا، أتمنى أن يكون فى الجنة".

أمزح قائلا: "إننى كحانوتى، لا أضمن الجنة ولا النار للناس".

يجلس على مقعد خشبى.

- "يا أخى كلنا حانوتية، لكن الحانوتية فى النهاية سيموتون".

نجلس أنا ومهرداد خلف طاولة خشبية، وأبدأ بسرعة فى تصفح ملف القضية.

يشعل مهرداد سيجارة ويسأل محسن خان عن الرجل المحكوم عليه بالإعدام الذى قد رآه. لا أنصت إلى كلامهم وأريد أن أستفيد قدر المستطاع من هذه الساعة التى وضع فيها الملف تحت أمرى. أنشغل بالكتابة،

وفجأة يقول مسؤول الأرشيف شيئا لمهرداد يجبرني على الكف عن العمل، وأنظر إليه متعجبا للحظة. لا أدرى ما الذى سأله مهرداد حتى يقول محسن خان: "الحانوتية لا يخافون من الأموات؛ لكنهم يخافون من الموت".

يسأله مهرداد: "ماذا عنك؟ هل تخاف من الموت؟".

يبتسم ويقول: "ربما لا تصدق؛ لكن الموت هو من يخاف منى وليس أنا من يخاف منه".

بالقطع لم نصَدِّق كلامه، لا أنا ولا مهرداد.

مرة ثانية أتصفح الملف المكون من ثلاثمائة و ثلاث وأربعين صفحة. توجد صورة لبارسا قد تم تدبيسها بالملف الليمونى اللون. جاء التقرير المضغوط للمحقق فى الصفحات الأولى: "دكتور محسن بارسا، أستاذ الفيزياء فى جامعات إيران. فى حوالى الساعة السابعة والربع مساء يوم الأربعاء، السابع عشر من شهر أكتوبر[١١] عام ١٩٩٣، ذهب إلى الطابق الثامن من مبنى مكون من ستة وعشرين طابقا باسم: (نگين آبى)[١٢] وألقى بنفسه من شرفة الغرفة المطلة على الشارع. وهذه الغرفة، هى مكتب البيع لمصنع ينتج نوعا من مبيدات الحشرات المنزلية.

---

(١١) مهرماه.

(١٢) معناه: العقيق الأزرق.

ووفقا لشهادة الشهود الموجودين فى مكان الحادث وتقرير الطبيب الشرعى؛ فإن المشار إليه قد قتل فى نفس المكان فور وقوع الحادثة، ولم يكن موجوداً فى مكان الحادث سوى سكرتيرة مكتب بيع المصنع السيدة: فرانك جوهر أصل، ابنة منصور".

وبعد بضع صفحات كان متن استجواب المحقق لفرانك جوهر أصل، الذى فرغه مباشرة من على شريط تم تسجيله للاستجواب:

"كانت الساعة السابعة وقت الغروب؛ حينما جاء السيد بارسا للمكتب، وقال إنه يريد أن يشترى عدداً كبيراً جدا من مبيد الحشرات. أنا أعطيته بيانا بالمنتجات. صدقنى لم يكن يبدو عليه أنه مجنون مطلقا. كان رزينا جدا. حينما أتذكر تلك اللحظة؛ يبدأ كل بدنى فى الارتعاش. بارسا قال: "الحشرات أيضا لها الحق فى أن تعيش، لماذا يجب أن نقتلهم؟ فقلت، يعنى قلت مازحة: "لو كنت تحب الحشرات؛ فلماذا تريد أن تشترى كل هذا القدر من المبيد الحشرى؟"؛ فأجاب قائلا: "على الرغم من أن الحب ليس دليلا قانعا على عدم القتل؛ إلا أننى ليس لدى نية لقتل الحشرات". بعد ذلك طلب منى أن أريه الكتالوج الخاص بمبيدات الحشرات إذا كان موجودا لدينا فى المكتب؛ فذهبت إلى داخل الغرفة المجاورة كى أحضر بضعة كتالوجات من أرفف المكتبة، وحينما عدت لم أرَ بارسا. (هنا يبدأ الشاهد بالبكاء وحينما يهدأ يكمل) حينما عدت لم أرَ بارسا. كانت حقيبته فوق الطاولة؛ ولهذا السبب ظننت أنه ذهب إلى مكان ما وسيعود بسرعة. وظللت منتظرة عدة دقائق ولكنه لم يأت.

بعد ذلك وقعت عيني على الشباك الذي كان مفتوحا. ذهبت لأغلق الشباك؛ حينئذ سمعت ضجيجا وجلبة من أسفل. وحينما نظرت وجدت الناس يجرون باتجاه جسد كان قد وقع وسط الأسفلت. (يبدأ الشاهد مرة أخرى بالبكاء).

- "سيدة: جوهر أصلي، حاولي أن تكوني هادئة. كلامك مهم جدا لنا، من أجل كشف الحقيقة. في ذلك اليوم قال السيد بارسا شيئا عن حياته الخاصة أم لا؟".

- "لا، لم يقل. كل كلام السيد بارسا، كان الأشياء التي قلتها. تحدث بارسا فقط عن مبيد الحشرات".

يتناقش مهرداد بحرارة مع الشاب المرح مسؤول الأرشيف. أنصت دقيقة إلى كلامهم. أسمع كلمات متفرقة عن الحرب والرصاص والمدفعية والدم والتشرد والخوف والشهادة والجنة، وأعود ثانية إلى ملف القضية.

ووفقا لما أثبته الطبيب الشرعي في الصفحة الثامنة والتسعين؛ فإن القتيل قد قتل على أثر نزيف شديد في المخ. أيضا فقد أشير في التقرير الذي أُعِدّ بعد المعاينة الدقيقة للجسد إلى جزيئات أكثر:

"انكسرت عظام الساقين وأصيب بشدة العمود الفقري، والكتف الأيسر، والرقبة والقفص الصدري".

تنفي رفع البصمات عن الجثة ومكان الحادث أصابع الاتهام بشكل تام من تدخل أي شخص أو أفراد آخرين في القتل. وفي الحقيقة فقد كان هذا التقرير هو أساس تبرئة سكرتيرة مكتب بيع المبيدات الحشرية.

وكانت وجهة نظر خبير الطب النفسى للمحكمة مقنعة؛ حيث حلل الظروف العامة لوقوع الانتحار:

"تتأتى إمكانية الإقبال على القتل أو الانتحار فى وقت لا يستطيع الفرد فيه الفرار من وضع مضطرب وصعب قد ألم به".

يمكن أن تكون الأزمة أو المشكلة صعبة، بحيث يعجز الشخص عن حلها أو يظن أنه عاجز.. وفى هذه الظروف من الممكن أن يختار ذهنه للخلاص من الأزمة وفى الواقع لحل الأمر، طريقين غير طبيعيين، طريقة الحل الأولى: يسعى أن يعتم على المشكلة أو يتظاهر بأنه ليس لديه مشكلة من الأصل. فى هذه الحالة فى الغالب ما يحدث القتل أو الانتحار، ولو وجد مانعا إنسانيا.

أما طريقة الحل الثانية: فهى أنه حين لا يستطيع أن يعتم على موضوع أو مضمون المشكلة؛ فإنه بناء على الدلائل؛ ففى هذه الحالة سوف يقدم على التدقيق لحل الأزمة أو المشكلة، وإن لم يستطع، يقوم فى هذه الحالة بالانتحار.

يضحك مهرداد ومحسن خان بصوت مرتفع، وأنا أرفع رأسى دون إرادتى حتى أفهم شيئا من موضوع كلامهم، ولكننى لا أفهم شيئا؛ فهذه أول مرة أرى فيها مهرداد يضحك بهذا الشكل منذ أن عاد من أمريكا.

أتصفح بقية ملف القضية. توجد وجهة نظر المحقق فيضى فى نهاية الملف. من وجهة نظره أنه عمل ذهنى شديد؛ فقد أجبر التجرد

واليأس المجهول بارسا على الانتحار. ولكن ما هذا "اليأس المجهول"؟ كل عقدة العمل فى هذا السؤال الخفى. لماذا صار بارسا يائسا؟ لم يوضح فيضى شيئا بشأن لماذا صار بارسا يائسا؟ أو لم يكن لديه شيء ليوضحه. أغلق الملف وألقى بمحتويات الكيس الخاص بملف القضية على الطاولة. محفظة، وميدالية مفاتيح، وقلم جاف ضغط مكسور من أعلى، وقطع زجاجية صغيرة من نظارة بارسا، كل الأشياء التى كانت برفقته لحظة وقوع الحادث. أيضا توجد قطعة ورق كان قد كَتَبَ عليها عنوانا وقد اسودت من أثر الدماء.

أدون العنوان وحينما أرفع رأسى أرى شيئا يثير دهشتى. محسن خان قد فك رجله الصناعية من ركبته ووضعها فوق الطاولة. مهرداد مشدود لسماع كلامه. يقول محسن خان حينما أصابت قذيفة المدفعية قدمه؛ فإنه رأى بعينه قدمه وهى تفصل عن جسده، وقد وقعت على الأرض قطعا صغيرة.

حينما نصعد من على السلالم أنظر للحظة فى عيون مهرداد، وقد فاضت بالدمع. ألعن نفسى ألف مرة لأننى قد قبلت أن يكون برفقتى اليوم.

بالحالة النفسية التى عليها مهرداد فإن أفضل شيء له أن يجلس فى المنزل منزويا حتى يعود إلى أمريكا. نجلس فى السيارة وأتوجه إلى مكان انتحار بارسا للمعاينة والبحث مهرداد لا يزال سارحا. لا نتحدث ولو كلمة مع بعضنا البعض. أفتح راديو السيارة كى أشغل حواس مهرداد،

التى لابد وأنها لازالت مع محسن خان المرح. الراديو يعطى درسا فى طريقة عمل صلصة الطماطم لربات المنازل.

أوقف السيارة أمام مبنى (نگين آبى)، ونذهب معًا تجاه الطرف الآخر من الشارع، حيث المكان الذى كان برسا قد ألقى نفسه فيه على الأرض. يشترى مهرداد من بائع السجائر على جانب الشارع علبة سجائر ويشعل واحدة منها فى نفس المكان. تهب رياح باردة من جهة الشمال فى الشارع؛ فأضع يدى فى جيب البالطو من البرد. مهرداد يدفئ نفسه بجانب النار التى أشعلها بائع السجائر. يجرى بضعة أطفال - كانوا للتو قد خرجوا من المدرسة - بالحجارة خلف قطة. أدقق النظر محملقا فى سواد أسفلت الشارع، وكأنهم قد كتبوا سبب انتحار بارسا فوق الأسفلت! تعبر القطة بسرعة من أمامى، وتخفى نفسها فى سلة القمامة الموضوعة على جانب الشارع؛ خوفا من الأطفال الذين يتعقبونها.

وأنا، أحملق فى أسفلت الشارع؛ لكننى من أعماق روحى أتمتم: "هل الله موجود؟". بائع السجائر على جانب الطريق يصيح لى من بعيد: "أيها السيد هل فقدت شيئا؟".

# ( ٨ )

أوصل مهرداد إلى المنزل. وحينما أصل إلى شقتى يكون وقت أذان المغرب. أفتح الباب؛ فتسقط ورقة من جانب الباب على الأرض. رسالة من جيرفت[١٢]. حينما أجلس على الكنبة يضرب جرس التليفون. تكون سايه، وتريد أن تعرف هل وجدت فرصة كى أذهب إلى على رضا أم لا؟

من أجل جواب سؤالها، أقول إننى كنت فى المحكمة؛ لكن فى نهاية الأسبوع حتما سوف أسأل على رضا.

لا تعترض سايه، ولا تتحدث بكلام آخر، ويضع كلانا سماعة التليفون. خلال هذين العامين اللذين قد عقدت فيهما على سايه، لم تعترض قط فى أى وقت على شىء، وإذا كانت أيضا مستعجلة على زواجها؛ فبسبب ضغط أسرتها عليها. لماذا لا تعترض سايه على شىء؟ إنها حتى لا تشك أيضا فى شىء. كل شىء بالنسبة إلى سايه يقينى ومؤكد وغير قابل للشك. فهى ترى أننى أفضل رجل فى حياتها، وأننى

---

(١٢) إحدى مدن محافظة رمان بإيران.

سوف أسعدها، وأنه خلال بضع سنوات أخرى سوف تضع لنا بضعة أطفال يلتفون حولنا، منهم القصير ومنهم الطويل، بنفس هذا المقدار لديها يقين بأن (سيدنا) موسى قد أخرج من بين أطراف قميصه دائرة نورانية، أو أن رب هذا الزمان قد تجلى على جبل الطور.

ليت ذرة واحدة من يقين سايه كانت فيّ. حتى بواب هذا المبنى، عامل نظافة هذه المنطقة، بائع الفاكهة على أول الشارع، والد سايه المليونير وآلاف البشر العاديين الآخرين، يعيشون كذلك باليقين الذى دائما ما أتجرع الحسرة ليقينهم هذا. فمن أين جاء يقينهم؟ هل من الجهل؟ لو أن عدم المعرفة وعدم التفكير فى ماهية الخلق، هكذا يجلب اليقين، فإننى سألعن كل معرفة.

أفتح الرسالة:

"سلام أخى يونس، أتمنى أن تكون فى حالة جيدة، كلنا بخير. فقط صحة الأم ليست جيدة؛ فقد التهب صدرها وتكح باستمرار. رجلاها أيضا اللتان كانتا تؤلمانها من قبل، الآن ثقلت وصارت كالحجر. فلن تستطيع المشى مرة أخرى. هى تطلب منى ألا أكتب إليك هذه الأشياء كى يكون ذهنك وتفكيرك فى دراستك؛ لكن لو لم أقل لك هذه الأشياء فلمن أقول؟ الأسبوع الماضى كتب لها الطبيب روشتة لم يكن أى دواء منها فى صيدليات جيرفت. أرسلت الروشتة برفقة الرسالة؛ فإن وجدت الدواء فى طهران أرسله عن طريق البريد إلى جيرفت. كذلك منذ بضعة أيام

جاء شخص لخطبتي، يعمل مدرسا للأدب. حددنا موعدا على العيد[١٤]؛ حتى تأتي إلى جيرفت، وتتحدث معه وترى ماذا سوف يحدث؟ على أمل اللقاء.

أختك مونس

١٩٩٦/٢/٢

أضع الرسالة على الطاولة بجانب التليفون، وأتمدد على الأريكة. مرة أخرى تقع عيني على فلق زاوية الغرفة. أنقلب علي جانبي الآخر وأشغل الراديو.

بعد موسيقى قصيرة، يبدأ برنامج القصة الليلية في الراديو من أجل الأطفال.

يغلب عليّ النوم، وأشعر بالاشتياق إلى والدتي وأختي مونس. المذيعة التي تحكي القصة، تلقي السلام على كل الأطفال. وأنا أفكر في هذا السؤال وعقلي مشغول به، وهو ماذا سيحدث لو أن بارسا قد ألقى بنفسه من فوق ذلك المبنى اللعين بلا هوادة، وكان هذا فقط على أثر جنون وقتي؟

---

(١٤) المقصود به عيد النيروز الذي يبدأ في ٢١ مارس لمدة أسبوعين.

قصة عشق عصفور صغير ودودة قز عاشا فوق شجرة توت.

أقول لنفسي ماذا لو ماتت أمي؟ يقول القصاص: دودة القز كانت تحب أن تطير مثل العصفور لكنها لم تكن تستطيع ذلك.

وذات يوم حملها العصفور بمنقاره الحاد الصغير وطار لكن حدة منقار العصفور جرحت جسم دودة القز الرقيق.

ماذا لو لم أُنهِ رسالتي في الوقت المحدد لها؟

قالت دودة القز للعصفور إنها تتمنى أن تطير بنفسها، لا أن يطير بها العصفور. ماذا لو لم ينشر لي كتاب؟ ماذا لو لم أصبح مشهورًا؟ كان العصفور الصغير قد فقد دودة القز لبضعة أيام وعلى الرغم من أنه كان قد بحث عنها في كل الغابة، فإنه لم يعثر عليها. أتذكر أنني سوف أذهب غدا إلى علي رضا وأسأله عدة أسئلة بخصوص رسالة سايه. إلى أن جاءت ذات يوم فراشة جميلة واقتربت رويدا رويدا من العصفور الصغير وجلست بجانبه فوق غصن شجرة التوت. سلمت السيدة فراشة على العصفور الصغير، وقالت: أتعرفني؟ لماذا كان بارسا قد اختار مكتب بيع مصنع مبيدات حشرات لينتحر؟ قال العصفور الصغير: لا، لم أرك من قبل. لابد أن أذهب إلى بيت بارسا. لعلي أعثر على بداية خيط هناك.

قالت الفراشة: كيف لا تعرفني؟ إنني نفس دودة القز. كنت أعيش لفترة في اليرقة التي كنت قد صنعتها وبعد ذلك تحولت إلى فراشة.

هل الله موجود؟ هل الله غير موجود؟ يضرب جرس التليفون وأرفع السماعة دون اهتمام.

- تفضل.

- "هل أنت السيد/ فردوس؟ يونس فردوس؟"

- "أنا هو تفضل".

- "أنا كيوان بايرام. زميل المرحوم بارسا فى الفصل فى فترة الطفولة".

- حينما أسمع اسم بارسا أجلس منتصبًا على الكنبة. لا زال الراديو شغالاً.

- "حضرتك قلت: زميل بارسا فى الفصل؟"

- "نعم سيدى. بالطبع أنا لم أكن تلميذًا متفوقًا مثله. لهذا السبب لم أحقق نجاحًا كبيرًا. لقد رأيت إعلانك فى الجريدة. آخر مرة رأيت فيها محسن بارسا كان قبل انتحاره ببضع ساعات. تحدثنا فى ذلك اليوم معًا ربما يكون هذا الحديث مفيدًا بالنسبة لك".

أدون عنوان عمله ونحدد ميعادًا للقاء بالغد. يذيع الراديو أخبارًا عن المذابح فى رواندا وأفغانستان والبوسنة وجنوب لبنان.

لا زلت جالسًا فوق الكنبة معطيًا ظهرى للشباك. فتقع عينى على الساعة العطلانة الموجودة فوق الطاولة والتى تشير إلى وقت غير مضبوط.

الراديو يقول إن درجة حرارة الجو الباردة ستنخفض درجتين غداً.

فى الساعة التاسعة صباحًا سأصل إلى السلخانة لرؤية كيوان بايرام.

بايرام مسئول التفتيش على جثث الأبقار والأغنام التى تذبح هناك.

لم يكن هناك داعٍ للسؤال عنه. من بعيد يمكننى معرفته. فهو يرتدى بالطو أبيض ويختم على اللحوم بختم الطب البيطرى. رائحة الدم والتعفن ملأت كل المكان. وصوت حشرجة كل حيوان يذبح تستمر لمدة. كان المكان مظلماً تقريباً. وقد ارتدى القصابون أحذية برقبة طويلة وستر سوداء بلاستيكية سميكة. وتتقطر الدماء من حافة سترهم بصورة مستمرة. أعرف نفسى إلى بايرام. يخرج سيجارته من بين شفتيه ويعتذر عن أنه لا يستطيع أن يخرج من السلخانة للحديث. يبدو عليه أنه شاب يبلغ من العمر بضعة وثلاثين عاماً. عريض المنكبين وأشقر الشعر. وقفنا معًا وسط الرواق بجوار المجرى الذى ينقل دماء المذبح للخارج. يقول إنه قد رأى بارسا تقريبًا قبل ثلاث ساعات من انتحاره داخل سينما وقبل مشاهدة فيلم "آجرانديسمان" - (وهو فيلم إنتاج عام ١٩٦٦ بإنجلترا ويتحدث الفيلم عن وجود الإنسان. والفيلم كتابة وإخراج مايكل أنجلو أنتونيونى، الملقب بشاعر السينما وهو يربط بين الفن والفلسفة. كما أنه يربط بين أكثر المفاهيم الفلسفية تعقيداً والحياة المعاصرة للإنسان).

- "سألنا عن أحوال بعضنا البعض وعرفت زوجتى إلى الدكتور بارسا".

- "وماذا أيضًا؟ هل تحدثتم فى كلام خاص؟ ألم يقل بارسا شيئًا خاصًا؟".

يحضرون بقرة بضجة وجلبة من نهاية المذبح داخل الرواق. تبدو البقرة غير أليفة وقد قيدها بعضِ الأشخاص بالحبال. يضع بايرام سيجارته على جانب شفتيه ثم يدق ختمه فوق الذبيحة.

"لا. فقط أنا قلت له كناية على سبيل المزاح" يا دكتور، كيف حدث وتذكرت السينما. فمن الجامعة إلى السينما المسافة كبيرة".

تلف البقرة برأسها وتهاجم أحد الأشخاص من حولها.

فقد وصلت رائحة الدم إلى مشامها. فرائحة الدم تجعل الأبقار غير أليفة".

- "ماذا قال الدكتور؟"

- "قال، قال مازحًا" لم أكن أعتقد أن السينما تستطيع أن تفعل هذه الأخطاء". فقلت: "أى خطأ"؟

قال بارسا: "حل المعادلات المعقدة". أو شىء مثل هذا القول.

لا أتذكر بدقة ماذا كان كلامه بالضبط. لكننى أتذكر جيداً أن زوجتى تعجبت كثيراً بسبب كلامه هذا. كان هذا كل شىء.

لا أدرى أساعدت حضرتك أم...".

لا أسمع شيئًا آخر. أحملق فى ظلمة نهاية السلخانة وكأن أشياء هناك تتحرك، كأن بضعة أشخاص قد انحنوا فوق شىء ضخم أسود كبير حتى لا يتركوه يتحرك. أصوات عجيبة كصوت صراخ من يسحبونه من شعره تخرج من الظلام. بعد ذلك يتحول الصوت إلى حشرجة لا نهاية لها وفجأة يمتلئ المجرى تحت أقدامنا بالدماء الدافئة.

( ٩ )

•

الساعة الرابعة بعد الظهر. وأنا أتجول لبضع ساعات فى حارات ناصر خسروا؛ كى أجد دواء أمى.

هنا المكان مكتظ بالمهربين الذين يخفون كل دواء نادر الوجود فى مخازنهم المظلمة.

أحدهم يقول: "أقسم ليس عندى، يعنى ليس موجودا ولا تبحث عنه".

والآخر يقول: "لو عند أى أحد؛ سيبيعه بقيمة دم أبيه".

يقول آخر: "ربما يكون عند ياقوت مديسين".

وياقوت مديسين: "ليس عندى. يعنى كان عندى لكن أمام عينيك، أعطيته إلى إنسانة ضعيفة من المرض، كانت تبكى أمام قدميك. اذهب إلى جمشيد جور، ربما يكون عنده".

من سوء الحظ أن جمشيد جور لم يكن عنده فى هذه المرة؛ لكنه يعطينى عنوان شخص ملقب بدكتور يعقوب كحول، ويؤكد علىَّ ألا أقول إنه هو الذى أرسلنى إليه.

وقال لى جمشيد أن أقول لدكتور يعقوب إن داود خان قد أرسلنى إليه.

يعقوب كان يتحدث مع بضعة أشخاص فى بدرون محل بيع كاوتش سيارات. أُعرِفَه بنفسى وأعطيه روشتة العلاج فى يده. ينظر فى الروشتة إلى أن يقول: "كل واحد ٥٩٠ تومانًا".

- "كل علبة؟".

يقول ساخرا: "لا، كل كارتونة! كل واحدة، تعدمنى. كل واحدة أنا فى خدمتك. علبتان منها ثمنها أربعة عشر ألفًا ومائة وستون تومانًا، وقبل أى شيء تتكرم بالمائة والستين تومانًا قبل العشرة آلاف".

على وقت الغروب كنت قد وفقت فى أن أهيئ من الخمسة أنواع من الأدوية ثلاثة أنواع، وأن أرسلها بالبريد إلى جيرفت.

حينما وصلت إلى المنزل، كان رأسى لا يزال يحترق من ياقوت مديسين، وجمشيد جور، ودكتور يعقوب كحول، وناصر خسر قباديانى، وكل شيء، وكل شيء.

أضع رأسى تحت صنبور الماء كى يبرد جسدى قليلاً. وفى الوقت الذى ينسكب فيه الماء فوق رأسى؛ أفكر فى: كل هذه الأدوية؛ من أجل ماذا؟ لماذا تصبح الناس مريضة إلى هذا الحد؟

يضرب جرس التليفون؛ فأخرج رأسى من تحت صنبور الماء. تبلل قميصى بشكل كامل. أجرى حتى الطاولة التى يوضع عليها التليفون

وسماعة الصالة. أرفع السماعة؛ فأجد على رضا. يقول إن حالة أحد أصدقائه حرجة ويجب أن ينقله إلى المستشفى. كانت سيارته الفيات فى الورشة ويسألنى لو أنى لستُ فى حاجة لسيارتى فأعيره إياها. أقول له إننى وسيارتى مستعدان للمساعدة. بعد بضع دقائق أكون فى الشارع الذى يوصل إلى بيت على رضا. فى الطريق أفكر فى أن أسأله عن سؤال سايه وأيضا الموضوع الذى فكرت فيه ورأسى تحت صنبور الماء.

فى الحقيقة أنا دائمًا ما أسأل عليًا بخصوص الأسئلة التى إما أنها ليس لها جواب أو الأسئلة التى يكون جوابها صعبًا، وفى الغالب أيضًا لا أقتنع بإجاباته، لكن أحيانًا يقول شيئًا فى إجابته على أسئلتى يجعلنى أتلذذ منه لذة لا حدود لها، وربما لهذا السبب فإننى لا أستمتع بالحديث مع أى شخص بقدر ما أستمتع بالحديث معه. وفى الواقع إن سؤالى لعلى كان مجرد حجة لأستدرجه للحديث؛ فهو يتحدث بحساب واتزان. على رضا غير متزوج ويعيش مع أمه و أخته الصغيرة فى شقة ١٢٠ مترًا. وعلى الرغم من أن عدة مؤسسات طلبت منه أن يُدرِّس الكمبيوتر بها، إلا أنه فضل أن يعمل مديرًا لمؤسسة حكومية صغيرة، عملها هو الاهتمام بالأعمال الخيرية.

كان يستند على شجرة وينتظرنى. وقد ارتدى بنطلونًا داكن اللون وقميصا فاتحا تحت جاكت زيتونى اللون.

يجلس فى السيارة:

- "سلام، يونس. كيف حالك؟".

أضحك ولا أقول شيئا. يعطينى عنوان بيت صديقه "منصور".

يسأل مرة أخرى: "كيف حالك؟".

فى الخارج كانت الرياح تعصف بالأشجار. كنّا فى أواخر شهر فبراير[١٥]، والجو بارد جداً. يبدأ هطول الأمطار فوق زجاج السيارة وأقول إننى لم أكن قط بهذا القدر من الحال السيئ.

بعد ذلك أسأل بدون أى مقدمة: "لماذا كل هذه الأمراض قد ألقيت على عاتق البشر؟ من أنواع الصداع، مثل: الصداع النصفى والتهاب الجيوب الأنفية إلى أمراض العين مثل: بعد النظر وقرب النظر وعمى الألوان والمياه البيضاء و الاستجماتيزم، إلى أنواع الأمراض القلبية مثل: سرعة نبض القلب وتضخم القلب وضيق الصمامات، إلى حصى الكلى وحصى المثانة إلى العقم والصرع والنقرس والسرسام " الالتهاب السحائى" إلى الجدرى والأوريون والحمى و الحمى القرمزية والربو وغيره من الأنواع المختلفة من الأمراض، والإعاقات الوراثية مثل العمى والحول والطرش والشلل واختلالات الكلام وأنواع الهيباتيت A وB وC وأمراض الدم مثل الهِيموفيليا (سيولة الدم) وسرطان الدم إلى غيره من أنواع الإعاقات الذهنية والتخلف السلوكى وغيره من الأمراض مثل جرح المعدة والاثنى عشر والمصران وغيره من الأمراض الطفيلية والدوالى

---

(١٥) أكتوبر.

والديفتيريا والتيفود والروماتيزم والديسك والشلل الرعاش والدايابت والزهايمر بخلاف تصلّب الشرايين إلى سكتة المخ وغيره.... آه ما كل هذا القدر من الأمراض!".

أشغل مسّاحات السيارة كي تُزِيل قطرات المطر من فوق زجاج السيارة. على رضا كان ينظر من النافذة إلى الخارج، إلى المحلات التي قد أغلقت.

- "كل شخص قبل الموت يجرب عدداً من هذه الأمراض".

أمي منذ سنوات طويلة وهي تعاني من مرض الدوالي والدايابت. سايه تعاني من اضطراب في نبض القلب. ووالدها يعاني من جرح في الاثنى عشر. ووالدتها تعاني من سينوزيت مزمن. والدي قبل وفاته قد عاني من مرض الشلل الرعاش "باركينسون". ولا أعتقد أن أي كائن حي قد يبتلي بكل هذه الأمراض بقدر ما يبتلي بها الإنسان. واحدة من أفكاري التي دائمًا ما تلح علي، وهي: لـ"ماذا لا تبتلي الحيوانات بالأمراض بقدر ما يبتلي بها الإنسان؟".

يقول على رضا بهدوء من تحت لسانه؛ فلا أسمع ما قال، وبعد بضع لحظات يدقق النظر فيّ ويقول مبتسماً: "من أين تعرف أسماء كل هذه الملائكة؟".

كان يقصد أسماء الأمراض التي كنت قد ذكرتها له.

أقول: "ربما يكونون أيضاً ملائكة، ولكنهم ملائكة العذاب".

اشتدت الأمطار ويضايقني نور مصابيح السيارات التي تأتي من الطرف المقابل. يصمت على لدقيقة وبعدها يقول: "ما الفرق؟ كل الملائكة جيدون، سواء ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب".

تبرق عدة صواعق في الأفق. أسأل بلا هوادة: "وهل في الواقع توجد ملائكة؟ هل يوجد حقًا ملكان جالسان فوق كَتِفَيّ ويكتبان أعمالي في ألواح؟ هل تعتقد حقًا في هذه الأشياء؟".

يرجع على رضا إلى الخلف على كرسي السيارة خلفه ويجلس مترنحًا ويقول: "أنا أعرف أناسا يشعرون بوزن هذه الملائكة على أكتافهم. أعرف أشخاصا يفرقون حتى بين رائحة الملائكة عن بعضهم البعض ويسمعون دومًا صوت أجنحتهم. لكن كل هذا ليس له قيمة، فما هو مهم هو أن......".

لا ينهي كلامه، وكأن الحزن يضغط على حنجرته وبعدها لا يتحدث قط. أعرف جيدًا أن في مثل هذه الأوقات لا ينبغي أن أتابع الحديث في الموضوع.

نصل إلى بيت "منصور" صديق على رضا. يدخل على رضا إلى المنزل وبعد بضع دقائق يخرج مع شاب نحيف وهو يحمله فوق يديه. ويضع منصور على الكرسي الخلفي للسيارة ويجلس هو أيضًا بجانبه، ويقول: "أسرع".

فيما يبدو أن منصور كان فى حالة إغماء تام. الآن اشتدت الأمطار إلى ذلك الحد الذى يجعلنى لا أرى شيئًا تقريبًا.

أنظر فى المرآة إلى الكرسى الخلفى. على رضا قد وضع رأسه فوق صدر منصور كى يسمع نبضات قلبه.

أدخل فى شارع منحدر بشدة إلى أعلى. أنقل غيار السيارة حتى أصعد فى شارع بهذا القدر من الانحدار. بعد قليل حينما تتوقف الأمطار أُنَزِل زجاج السيارة. فجأة تفوح رائحة الياسمين العطرة فى السيارة. لكن جانبى الشارع يمتلئان بشجر البوقيصا، جانبى الشارع يمتلئان بالمبانى المرتفعة وأبواب المحلات التجارية المغلقة ويمتلئان بالمشردين الذين ناموا على جانبيه. وليس به زهر الياسمين!!

# ( ١٠ )

حينما يقول الطبيب الشاب فى الاستقبال إن منصور قد مات منذ عشر دقائق مضت، ينحنى على رضا ويضع وجهه فى يدى منصور التى لا حياة فيها . ويهتز كتفاه من كثرة البكاء والحزن، وبعد ذلك يتخلص من الحزن الذى كأنه قد احتفظ به لفترة طويلة على حنجرته. يكتب الطبيب الشاب فى ورقة شهادة الوفاة أن سببه هو توقف القلب.

يوقِّع على الشهادات، ويضع "منصور" بمساعدة أحد الممرضين على حمالة نقل المرضى وينقله إلى ثلاجة الموتى.

الساعة الثانية فجراً . أنظر من نافذة عيادة الاستقبال إلى الخارج. تجرى امرأة وهى مضطربة ولهة نحو كابينة تليفون عمومى. أفكر فى نفسى: أين منصور الآن؟ فقد سمعت اسم منصور عدة مرات من على رضا، ولكن كانت هذه أول مرة أراه فيها بالطبع وآخر مرة.

كانت عيادة الاستقبال خالية ولم يكن بها سواى. أتجول فى طرقات المستشفى بلا هدف. أعبر من قسم الجراحة وأصعد بعد ذلك من السلالم إلى أعلى. أفتح باباً زجاجيا كبيراً كُتِب عليه "الأعصاب والحالات النفسية"

وأدخل إلى الداخل. قد جلس شخصان يرتديان ملابس المستشفى على كراسٍ معدنية فى الطرقة ويتحدثان مع بعضهما. واحد منهما رجل عجوز يرتدى قبعة (آيس كاب) كحلية اللون وقد أنزلها على أذنيه. الرجل العجوز كان يتحدث مع الشخص الجالس بجانبه، يتحدث لكن وكأنهما لا يسمعان بعضهما. الرجل العجوز كان دائمًا ما يحرك رأسه لأعلى وإلى أسفل، ويقول: -"... أظن أننا كنا فى الطريق السريع حينما قلت لها: طيب وأنا؟ قلت لها: إنك حتى تحبين القورمه سبزى[١٦] أكثر منى. أتعرف ماذا فَعَلت؟ جرت إلى المطبخ وأخرجت السكين من الدرج، وقالت: - اتكتم! اتكتم! اتكتم! قالت لو لم تتكتم؛ هكتمك بهذه السكين".

الشخص الآخر كان متوسط العمر يضع نظارة سميكة العدسات على عينيه ويقلد أداء شخص يتحدث بالتليفون وقد وضع إصبعه الإبهام فى أذنه وإصبعه الصغير أمام فمه: "... نعم سيدى. حتمًا سيدى! كل ما تأمر به. أنا ؟ أنا أكون كلبا لمن سيدى ؟ أنا فداؤك سيدى. سيادتك فقط تكون سالما وبصحة جيدة سيدى. الساعة مخطئة أنها تكون ثلاثة ونصفًا يا سيدى. كل ما تأمر به سيدى. الساعة كما تقول أنت وتحب سيدى. قلنا للزجاج أيضًا بألا يظهروا الطرف الآخر منهم مرة أخرى، لو أظهروا يا سيدى؟ سنكسر رقبتهم بالحجارة يا سيدى على حسب

(١٦) القورمه سبزى: أحد أنواع المأكولات الإيرانية

أوامر جنابك العالى فقد أسكتنا بالتهديد الديكة كى لا تصيح صباحًا؛ فقد قلنا لهم إنه مجاز لهم أن يؤذّنوا فقط قبل الظهر إلى الحد الذى تطلع فيه روحهم من التعب. الكلاب أيضًا وفقًا لأوامر سيادتكم من المقرر أن ينبحوا نهارًا، وليلاً يتخمدوا ويناموا مثل أطفال البشر. فى البترينة سيدى قد وضعنا كل شىء من لبن الجمل إلى روح الإنسان".

– "قالت: أطفئ المدفأة وتناول قرص الدواء. قلت: الجو بارد، لن أطفىء المدفأة لكن قولى أنت كلمة واحدة، فقط كلمة واحدة، قولى إنك تحبيننى. حينئذ لو شئت سأبتلع مائة قرص، سأبتلع أقراصًا منومة إلى الحد الذى يجعلنى لا أستيقظ إلى مائة عام أخرى، بل إلى ألف عام أخرى. أتعرف ماذا قالت ؟ قالت: اذهب واغرب عن وجهى قالت: أتمنى لو يُقطع رأسك".

– "طلبت أن أُلَمِع جيدًا زجاج البترينة بالمنديل".

– "نحن أكتافنا من خيرك سيدى. نقبل يدك سيدى. فى أوقات الصباح لو أن العصافير تزقزق وتضايق نوم صاحب الجناب العالى؛ فإننا نمنع زقزقتهم سيدى. أيضا لا تقلق مطلقا من ذلك الموضوع سيدى. أصدرنا أمرًا لجميع الأشجار المجاورة من الآن فصاعدًا أن تلقى بظلالها داخل فنائنا. قد قلنا لأعمدة الكهرباء أن يبدوا الاحترام. تقرر من يوم السبت أن تأتى القطط يوميًا ثلاث مرات أمام الإيوان وتركع أمامك سيدى".

قلت لها: "انظرى! فإن يدى خالية، لكن عديمة الوفاء أيضًا لم تنظر. ذهبت وجلست على حافة الحوض وألقت واحدة من الأسماك الحمراء في الحوض أمام القطة".

الرجل العجوز حينما يقول هذا يبدأ في البكاء بصوت مرتفع. حينما يسمع الممرض بكاء الرجل العجوز يأتى من نهاية الصالون نحوهم وفى يده كوب ماء؛ فيسكت الرجل الذى يرتدى النظارة حينما يرى الممرض.

يعطى الممرض لكل واحد منهم قرص دواء ويأخذهم إلى غرفهم.

الرجل صاحب النظارة لازال يحتفظ بيده على شكل سماعة تليفون وبنفس الشكل يبتعد وهو يصيح : "تقصير صُرار الليل اللعينة التى لا تسكت. دائما تشخشخ من بداية الليل إلى طلوع الفجر سيدى. لابد أن يوضع لهم السم. لابد أن يقتلوا ألف مرة وبعد ذلك يحرقوا سيدى...".

يصنع قرص الدواء تأثيره ويصبح الرجل بين النوم واليقظة. لا يستطيع أن يؤدى الكلمات بشكل صحيح يقول بصوت الغالب عليه النوم: "لَ لَ لو.. لو لم يتم أأ.. القضاء عليهم فلن يستطيع أحد أن ينام فى هدوء ليلاً من ص ص صوتهم سيدى...؟؟؟".

الساعة الرابعة صباحًا، وأنا لازلت أفكر فى هذين الشخصين اللذين رأيتهما فى قسم الأعصاب. نذهب تجاه السيارة. عيناى تحترقان من عدم النوم. أطلب من على رضا أن يقود هو. حينما أجلس فى السيارة، أفرد كرسى السيارة.

يتحدث على رضا عن الجبهة وعن مضيق شزابه وعن الخندق الذى كان على شكل قناة متعرجة الشكل.

تلك القناة التى قد كانت مثل مقبرة جماعية طويلة وضيقة. يتحدث عن رصاصات مدفعية الهاون والقذائف والآر.بى.جى التى كانت تتطاير على رؤوسهم من الصباح إلى المساء. يتحدث عن الأخاديد الموجودة داخل القناة ويستفاد منها كمحراب. يتحدث عن القتلى وعن القتلى وعن القتلى الكثيرين الذين كانوا يموتون ليلاً ونهاراً فى القناة. يتحدث عن رائحة الدم التى كانت تصل إلى مشامهم أكثر من رائحة معلبات اللوبيا. يتحدث عن وقت الظهيرة حينما تسقط قذيفة فى إحدى حفر القناة وهو يجرى مضطربا بطول مائة متر بشكل متعرج ويرى منصوراً فى حفرة منخفضة وقد أصابت نخاعه شظية وقد اتكأ من شدة ضعفه وقلة حيلته على جدار القناة الترابى.

يسكت على رضا لدقيقة، وبعد ذلك يقول: "حينما ذهبت لأعلى؛ قالت والدته إن منصوراً كان يشاهد فيلمًا تسجيليًا عن الحرب فى التلفزيون فأصيب بهيجان وثورة".

أنزل زجاج السيارة؛ فيهب الهواء البارد ويملأ جنبات السيارة.

يستمر على رضا قائلاً: "الأطباء قالوا إن رؤية مثل هذه الأفلام بالنسبة له كَسم مهلك".

أُخرج يدى من شباك السيارة. قد توقفت الأمطار تماماً.

عيناى مغمضتان وأنا لست نائمًا ولا مستيقظًا، لقد كنت بين النوم واليقظة. فجأة يضىء نور شديد فى عينى مثل نور مصابيح شاحنة تسير باتجاهنا بنور عالٍ. لكن لطالما انتظرت فلم أسمع صوت شاحنة. أفتح عينيَّ؛ فلا توجد سيارة قط فى الشارع. يمسح على رضا عينيه بظهر يده وينظر إلىَّ مبتسمًا، ويقول متسائلاً: "أحدث شىء ؟".

## ( ١١ )

كانت الساعة العاشرة صباحًا حينما استيقظت من النوم. أحداث الأمس تتوارد فى ذهنى مثل كابوس مؤلم. فى الصباح الباكر حينما أوصلنى على إلى شقتى؛ أعطيته سيارتى كى لا يبقى بدون سيارة فى هذه الأيام التى سيكون مشغولا فيها بشأن كفن ودفن منصور. حينما أدخل فى المطبخ يرن جرس الباب. أفتح الباب؛ فأجد سايه وقد وضعت على رأسها (حجابًا) لطيفًا. وحينما تجلس على الكرسى يسقط الحجاب على كتفها. تبدو أجمل من الأيام الماضية. لا تزال لم تتناول الإفطار. حينما أذهب تجاه الحمام أسأل: "ما أخبار رسالتك؟". تقول أشياء لا أستطيع أن أسمعها جيدًا بسبب صوت صنبور الماء. أغلق صنبور الماء وآتى إلى الصالة وأنا لا أزال أغسل أسنانى بالفرشاة كى أسمع صوتها جيدًا.

تخرج كتابًا صغيرًا، طبعة حجرية، وهو نسخة خطية من حقيبتها وتبدأ بقراءة واحدة من مكالمات رب العزة وسيدنا موسى (الله وموسى):

"يا ابن عمران! كلما دعانى عبدى، فإننى كذلك أستمع إلى كلامه وكأنه ليس لدى عبد غيره، لكن عجباً لعبدى فإنه ينادى الآخرين وكأنهم آلهة ولست أنا".

أبتسم وأعود نحو الحمام. أغسل وجهى بالصابون وبعد ذلك أحضر المنشفة معى إلى الصالون وأجلس ظهرى إلى الشباك، مواجهًا لسايه.

يتعامد نور من النافذة على وجه سايه فيضىء وجهها.

أنشف وجهى بالمنشفة وأدقق النظر فى سايه، التى كانت تبحث عن شىء فيما بين الأوراق.

تبدأ بالقراءة من على قطعة ورق:

"تخيل أنك فى ليلة باردة من ليالى الشتاء مع زوجتك الحامل فى الصحراء الحالكة الظلمة، وقد فقدت الطريق. ليلة معتمة والصحراء كذلك مظلمة بحيث إنكما لو ابتعدتما قليلاً عن بعضكما؛ فلن تجدا بعضكما أيضًا إلا بندائكما لبعضكما. فى تلك الظلمات المحضة ترى نورا ضعيفا يظهر من بعيد؛ فتترك زوجتك فى ذلك المكان المظلم وفى البرد القارص وتذهب على أمل إيجاد الطريق تجاه النور. وحينما تصل إلى الشعلة، تفر من خوف القرب. ليست شعلة، إنها نار بدون دخان وصلت من بين أغصان شجرة إلى عمق قلب السماء. تعود مضطرباً وتهرب من عمق ظلمة الصحراء.

بعد قليل تقف متنفسًا الصعداء وتذهب مرة أخرى نحو الشجرة.
فى تلك المرة تسمع صوتا غريبا وكأنه من بين النجوم أو حتى من وسط الشجرة تسمعه قائلاً:

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ (١٧).

وجه سايه يضيء وقلقى يزداد عليها. تستمر (فى القراءة):
"نفس هذا الصوت يخاطبك بأن تضع يدك فى جيبك ثم تخرجها؛ كى يشع ضوء مثل الشمس من يديك. وبعد ذلك ليس الطريق فقط ما أصبح مضاءً بل أنت أيضا؛ فتعود إلى زوجتك وتسألك وهى خائفه منك:
"أوجدت الطريق؟"؛ فتجيب من أعماق روحك: "وجدته، وجدته، وجدته".

أنظر بدقة إلى قطعة ذهبية فوق صدر سايه.

أنظر فى عينيها وأقول: "أنت سعيدة الحظ".

تضحك وتقول: "أنت أيضًا سعيد الحظ".

أمد يدى وأضغط على القطعة الذهبية التى على صدرها بين أصابعى؛ فهى هدية قد أعطانا إياها على رضا ليلة عقد زواجنا.
وقد حفر على القطعة الذهبية كلمة: "على" بطريقة جميلة.

---

(١٧) سورة طه (١٢-١٣).

أقول: "أنت سعيدة الحظ. على سعيد الحظ. منصور كان سعيد الحظ. موسى أيضا كان سعيد الحظ".

تضحك سايه مرة أخرى، وتقول: "بشأن موسى أنت محق تماما؛ فالشخص الذى تكلم الله عنه فى عشرين سورة من القرآن وتلفظ باسمه مائة وستًا وثلاثين مرة فى القرآن؛ فإنه لابد أن يكون سعيد الحظ. الشخص الذى وفقًا لكلامك هو الإنسان الوحيد الذى سمع صوت الله؛ فإنه لابد أن يكون سعيد الحظ".

آخذ يديها فى يدى، وأضع جبينى عليهما.

لدى شعور أحمق. أتمنى لو نضيع أنا وسايه أيضًا فى الصحراء الباردة والمظلمة ليلاً.

أشعل شعلة البوتجاز على براد. وأضع الفناجين فى الصينية. كانت سايه تخرج الفنجان من رف المطبخ وتقول: "يأخذ سبعين شخصاً من قومه معه إلى جبل الطور؛ كى يشهدوا مكالمته مع الله".

أضع النسكافيه والسكر على الصينية.

- "لكن صفوة قومه الجهلة يقولون لن نؤمن حتى نرى الله جهرة".

أطفئ البوتجاز، وأضع مقداراً من الشاى فى الفنجان.

- "قال الله لموسى سأتجلى للجبل؛ فإن بقى الجبل مكانه؛ حينئذ يمكنكم أن ترونى".

أخرج قطعة زبدة وخبزٍ من الفريزر، وأفكر فى نفسى بأن هذا الموضوع صعب جداً على سايه.

أعطى الصينية لسايه وأصب الماء المغلى فى الفنجان. أُخْرِج قطع حلوى وزجاجتى لبن مبستر من الثلاجة، وعندما أجلس على الكرسى أسأل: "فى رأيك، هل تجلى الله حقًا للجبل؟ قصدى أأنت متأكدة أن الله قد تجلى حقًا للجبل؟".

تنظر سايه إلى مندهشة.

لم أكن حذراً فى حديثى: "هل أنت حقًا معتقدة فى هذه الأساطير التى تقولينها؟".

تتصور أو تظن أن كلامى ليس جاداً أو أننى أمزح.

تقول مبتسمة: "يونس، هذه ليست أساطير".

أقول بصوت أكثر ارتفاعا: "أساطير".

تضع أوراقها فى حقيبتها، وهى منزعجة قليلاً، وتقول: "حتى ولو كانت أساطير؛ فإن أكثرها قد تعلمتها منك".

أملأ الفنجان بالشاى، وأقول: "متى.. متى؟ أنا اليوم أختلف عن أمس وعن السنين الماضية. الذى أفهمه الآن، أن كل هذا أشياء خرافية".

تقول: "بالأمس كنت مستيقظًا لوقت متأخر، وواضح فعلاً أنك لست على ما يرام".

أغضب، وأقول صائحًا: "أتقصدين أننى قد فقدت عقلى وصوابى؟ دائمًا وبهذا الشكل فإن كل من يريد أن يبتعد خطوة عن الخرافات والمنقولات؛ فإما أن يتهم بالجنون أو بالإلحاد أو التنوير والانفتاح. فى الواقع لم أكن فى أى وقت سعيداً ومبتهجًا إلى هذه الدرجة مثل اليوم".

منذ أن عقدنا عقد زواجنا منذ عامين تقريبا، وأنا لم أُصبِح قط فى وجهها بهذه الصورة.

تشبك سايه أصابع يديها، وتقول: "ماذا تقصد بالخرافات والمنقولات؟ يونس! هل تعرف ماذا تقول؟".

– "بالطبع، أعرف ماذا أقول. أنا أوافق أننى لفترة من الزمن كنت أعتقد فى هذه الأشياء؛ لكننى لا أستطيع الآن أن أصدق ولو ذرة واحدة هذه الأشياء التى تعتقدون فيها أنت وعلى، وأعلم أيضًا أنكم تعتقدون فى أشياء كثيرة أخرى. أنا نفسى لست راضيًا عن هذه الحالة التى ابتليت بها؛ لكننى أشعر أنه كان يجب أن يأتى اليوم الذى تفهمين فيه هذه الأشياء".

صار وجهها شاحبًا مثل الجث الأبيض وبعد ذل تسأل أشياء عن الله؛ بحيث إننى كلما حاولت أن أكتم ظنونى لم أستطع. أستطيع أن أدرك كم كان كلامى لها مُرًا وغير مناسب. لقد برد فنجانا الشاى.

تقوم من على الكرسى؛ فأقول: إلى أين أنت ذاهبة؟!".

امتلأت عيناها بالدموع، وهى حتى لا تلتفت إلىَّ، وحينما تغلق باب الشقة؛ أصيح مناديًا: "سايه!".

أذهب وراءها. أناديها مرة أخرى فى الممر. لا تدير وجهها إلىّ وتركب المصعد. أعود إلى المطبخ وأجلس على الكرسى. أضع يدى على وجنتى بشكل عمودى، وأحملق فى كرسى سايه الخالى الذى يبتعد قليلاً عن الطاولة التى وضع عليها الإفطار.

أنظر مدققًا إلى فناجىّ الشاى، إلى المعالق الصغيرة فى الصينية، و إلى زجاجتى الحليب الواقفتين بجانب بعضهما البعض مثل إنسانين قد قُطِع رأساهما، ولا يصدر عنهما أدنى صوت".

# ( ١٢ )

منذ ثلاثة أيام، وسايه لم تتصل تليفونيا. أخذت عنوان منزل بارسا من الجامعة. أتصل بمهرداد سائلا إياه، إذا كان يحب أن نذهب معًا إلى منزل بارسا؟ يوم الجمعة قبل الصلاة نأخذ "تاكسى" أنا ومهرداد ونذهب باتجاه منزل بارسا. كان راديو السيارة يذيع برنامج مسابقة العشرين سؤالاً. موضوع المسابقة: المنشار.

أقول لمهرداد: "فى النهاية، لم تقل ماذا حدث وجاء بك إلى إيران؟".

يضع النظارة فى جيب قميصه، ويقول: "قد أتيت كى آخذ أمى معى إلى فلوريدا. فالأطباء يقولون إنه ليس من أمل فى بقاء جولى حية".

ينظر من نافذة السيارة لخارجها، وقد وقفنا فى زحمة الطريق ويخرج من شكمان الأتوبيس الذى وقف أمامنا دخانٌ كثيف.

يرفع مهرداد زجاج السيارة ويقول: "أتمنى أن تبقى أمى معنا فى حال رحيل جوليا عن الدنيا، ابنتى جووانا تحب جداً أن ترى أمى".

المشتركون فى مسابقة الراديو يُسْألون: يظهر فى كل البيوت؟".

ننزل من السيارة أمام سينما "شهر قصه"، ونذهب باتجاه الشمال من الشارع، حتى نصل إلى منزل بارسا. أحكى لمهرداد موضوع منصور. يتمنى لو يستطيع أن يرى على رضا فى مدة وجوده فى إيران. كان وقت الظهر قد حان ويصل صوت الأذان من بعيد إلى الآذان.

"السيدة فخرية"، والدة بارسا، سيدة محترمة ووقورة؛ حينما أعرِّفها بنفسى تدعونا بسعادة وبشاشة إلى غرفة الضيوف. قد عُلِّقت ستائر حريرية من التل الأبيض بطرفى الشباك. يشعل مهرداد سيجارة ويقول إن ابنته جووانا قد أوحشته كثيراً، وإنه يريد أن يتصل بها بعد الظهر.

تأتى السيدة فخرية وفى يدها صينية صغيرة وبها فنجانا قهوة بالحليب وتجلس فى الاتجاه المقابل لنا، وقد وضعت طرحة من التل الأسود على رأسها.

أقول: "إن الدكتور بارسا كان من علمائنا الأجلاء، وكان فخراً للعلم والعلماء وفقدانه فى الحقيقة غير قابل للتعويض لمجتمعنا الجامعى".

لم تقل شيئا. أنظر إلى صورة دكتور "محسن بارسا" المعلقة على الحائط المقابل لى. يبدو أكثر شباباً من الصورة التى رأيتها فى ملفه.

– "أتمنى أن يكون تقريرى العلمى فى النهاية مؤثراً فى تقليل مثل هذه الحوادث". يطفئ مهرداد سيجارته فى المنفضة ويأتى لمساعدتى.

- "سيدة فخرية، من وجهة نظرك ما هو الباعث الذى جعل الدكتور يفعل ذلك العمل؟".

تلوِّح والدة بارسا بيديها وتقول: "لا أدرى... إننى فى الواقع لا أدرى شيئا. بعد وفاة والده، العقيد بارسا، عاد "محسن" بسببى من أمريكا إلى إيران. كان محسن ابننا الوحيد؛ لهذا السبب سعينا أنا ووالده كى يكون مرتاحًا فى حياته. بالطبع والده لم يكن يسمح لمحسن أن يصاحب أى شخص، أو أن يتردد على أى مكان يأتى على هواه. كان كل سعينا هو أن نقدم إلى المجتمع ولدًا صالحًا ومثقفًا؛ لكنكم رأيتم كيف تعامل المجتمع معه".

تمتلأ عيناها بالدمع. تمسح عينيها بطرف طرحتها السوداء.

أقول: "تقصدين مَن مِن المجتمع؟ هل تعرفين شخصا خاصًا مقصرًا فى هذا الحدث؟".

- "بعد وفاة العقيد بارسا، أصبحت وحيدة جدًا. لم يكن لمحسن أن يفعل ذلك معى. محسن أفسد حياته وأيضًا حياتى. كتبوا فى الملف أن محسن ابنى قد حدث له ما حدث بسبب اليأس أو بسبب عمله الزائد. لكن كل هذه الأشياء كذب. لم يكن محسن يائسا قط، ولم يشكُ مطلقًا من عمله. كان إنسانًا عقلانيا ومنطقيًا. المقربون منا كلهم يعلمون أن سلوك محسن كان موزونًا ومحسوبًا تماما؛ فهو ينظر إلى كل شخص وكل شىء بشكل علمى. قهوتكم بالحليب سوف تبرد، تفضلوا واشربوا".

نرفع فنجانيّ القهوة بالحليب من الصينية.

- "ألم تلاحظى تغييرا فى سلوكه قبل الحادث؟ مثلا: ألم يصبح عصبيًا، سريع الغضب؛ ويثور لأقل شيء؟".

تقوم سيدة فخرية وتحضر صورة صغيرة فى برواز من فوق دولاب الملابس الموجود فى أحد أركان الغرفة وتريني إياها. هى صورة لمحسن بارسا وفى يديه مسطرة فلزية، وكان يثنيها فى يديه إلى حد الانكسار وهو يبتسم إلى الكاميرا.

- "هذه الصورة قد أخذتها منه قبل ثلاثة أسابيع من وفاته. محسن كان دائمًا يضحك بنفس الشكل الذى ترونه فى الصورة. كان بشوشًا دائما على الرغم من أنه كان يقرأ ليلاً أو كان يكتب شيئًا إلى وقت متأخر، لكنه كان دائمًا يستيقظ فى الساعة السادسة. كان يعيش بنظام وتخطيط دقيقين. كان منظمًا مثل الساعة. وحينما كان يستيقظ كان يتمرن قليلاً وبعد ذلك يأخذ حماما ويقرأ الجريدة حتى أعد الأفطار. أحيانا أيضًا كان يستمع إلى الأخبار بدلاً من قراءة الجريدة. منذ أنْ جاء إلى إيران وهو يقوم بأداء هذا البرنامج اليومى. فقط قبل وفاته بشهرين أصبح منعزلاً قليلاً. كان يستيقظ صباحا متأخرًا من النوم ولم يكن يتمرن بانتظام. وأغلب الأوقات التى يكون فيها فى البيت، كان يقضيها فى غرفة المكتب. لكن لم يكن فى ذلك شيء مقلق. ومع ذلك فإنه ذهب أيضًا ذات مرة إلى طبيب نفسى؛ لكن الطبيب قال إنه لا داعى للقلق".

يطفئ مهرداد سيجارته فى المطفأة، ويقول: "سيدة فخرية، عذراً أننى سأسأل هذا السؤال، لكن هل كان فى الأيام الأخيرة يعشق أو يحب إحدى الفتيات؟".

- "قصدك أنه كان قد أعجب بفتاة؟ لا، لا أظن، ولو كان محسن معجباً بأحد فكان حتما سيقول لى".

- "من أين يقينك إلى هذا الحد بأنه كأن سيخبرك عن مثل هذا الموضوع؟".

- "ذلك لأنه من وجهة نظرى لم يكن يوجد قط مانع لزواجه، ولا يوجد سبب ليخفى عنى مثل هذا الشىء. لكننى متأكدة من أنه لم يحدث مثل هذا الموضوع من أصله. بالإضافه إلى ذلك، إن محسن كان عاشقا لعمله فقط. عاشقا للتدريس والقراءة. محسن فى الواقع كان عاشقا للعلم بمعنى الكلمة".

أقول: "هل من الممكن أن أرى غرفة مكتبه؟".

- "بالطبع ممكن. أنا لم أذهب إلى غرفته مطلقًا منذ وفاته، والآن أيضا لا أريد أن أذهب إليها".

تدلنا والدة بارسا أنا ومهرداد على غرفة محسن بارسا، وتذهب هى إلى المطبخ. غرفة محسن فى الضلع الشرقى من المبنى. غرفة صغيرة نسبياً بحيث إن المكتب والكمبيوتر قد ملآ تقريبا نصف مساحة الغرفة.

فى الطرف الآخر من الغرفة توجد عدة أرفف مملوءة بالكتب، جميع الكتب علمية وأغلبها باللغة الإنجليزية. وتوجد صورتان فى برواز معلقتان على الحائط. إحداهما صورة أبيض وأسود لوالد محسن فى الزى العسكرى، والأخرى صورة مرسومة بقلم رصاص لـ"ماكس بلانك"(١٨). أتصفح بسرعة الكتب والملازم الموجودة فوق طاولة مكتب بارسا. أرفع ملزمة كبيرة الحجم مكتوبة بخط اليد من فوق الطاولة.

كان مكتوبًا على الملزمة بخط عريض: "التحليل الرياضى للمفاهيم الإنسانية". كما وضعت مفكرة صغيرة بجانب نتيجة التقويم الموضوعة على الطاولة، والتى كان بارسا يدون فيها مذكراته اليومية. آخذ الملزمة وأيضًا المفكرة كى أقرأهما. يشير علىّ مهرداد بأنه قد يكون فى حافظة الكمبيوتر أيضًا أشياء قيمة.

أترك الكمبيوتر لمرة قادمة. ونخرج من الغرفة. فى الصالون أستسمح السيدة فخرية أن تترك لى المفكرة والملزمة لفترة قصيرة؛ فقط من أجل المطالعة والقراءة.

تقول: "لن تحصلوا منها على شىء، لكن إن كنتم تعتقدون أن قراءتها ستساعدكم، فبالنسبة لى ليس فى ذلك أدنى مشكلة".

---

(١٨) ماكس بلانك (٢٣ أبريل ١٨٥٨-٤ أكتوبر ١٩٤٧)، عالم فيزياء ألمانى، يعتبر مؤسس نظرية الكم، وأحد أهم فيزيائىّ القرن العشرين.

كانت الساعة الثانية بعد الظهر حينما وصلنا إلى شقتي. يضع مهرداد السندوتشات فوق الطاولة، وأنا أخرج زجاجتيّ مياه غازية من الثلاجة. ونحن نأكل الغداء، يقول مهرداد إنه قد استخرج جواز سفر لوالدته، والآن لابد أن يحصل لها على تأشيرة. يقول: "من وجهة نظر سفارة سويسرا، والتي تقوم برعاية مصالح أمريكا في إيران؛ فإن سفر والدته المسنة والمريضة سيكون بدون أي مشكلة".

بعد الغداء يشعل مهرداد سيجارة وأنا أسأله: "ألا تريد أن تتصل بجووانا؟ فأنا أحب كثيراً أن أسمع صوتها".

يقول: "لا تستطيع أن تتحدث الفارسية جيداً؛ لكنها تتحدث بلهجة جميلة".

يذهب مهرداد نحو التليفون، وأنا أستلقى على الأريكة. يطلب مهرداد الرقم وأنا أفكر في سايه. أفكر في والدتي. أفكر في بارسا وفي يونس وفي علي رضا، ومرة أخرى في سايه وفي منصور. في مهرداد. في رسالتي. في جوليا. في الله...

أقوم بسرعة من على الأريكة، وأفتح مكبر صوت التليفون حتى أستطيع أن أسمع صوت جووانا. أقول لمهرداد أن يطلب من ابنته أن تتحدث بالفارسية.

- "جووان، يوجد هنا أحد أصدقائي يريد أن يسمع صوتك وأنت تتحدثين بالفارسية. الأن قولي لي أين جدتك؟".

- "لقد ذهبت إلى البنك. بابا، مش عايز تعرف امبارح إيه حصل فى الحضانة؟".

- "بالطبع، عايز أعرف حبيبتى".

- "مايك عد فى دقيقة واحدة من واحد إلى مائة؛ لكننى استطعت فقط أن أعد إلى ثلاثة وثمانين".

- "يا عزيزتى إلى الثلاثة والثمانين أيضًا جيد جداً. فحينما كنت فى عمرك لم أكن أستطيع العد فى دقيقة واحدة حتى الستين".

- "مارجريت لم تستطع أن تعد أكثر من خمسة وعشرين وتوقفت. يقول آيريس إن الله يستطيع أن يعد فى دقيقة واحدة إلى الألف. هل ما قاله آيريس صحيح يا أبى؟".

- "جووان، أظن أن الحق مع آيريس".

- "هل تعرف آلن؟ ذلك الذى كان يعكس الشمس فى عين الأطفال فى أرض الملعب بالمرآة التى كان قد سرقها من حقيبة السيدة جاكسون".

- "ماذا فعل هذه المرة يا جووان؟".

- "لم يفعل شيئا، لكنه قال إن الله يمكنه فعل كل شىء. قال آلن إن الله يستطيع أن يحطم المبنى المكون من اثنين وأربعين طابقا، والكائن

فى شارع جولدن جيت[١٩] فى دقيقة واحدة. يقول آلن إن الله يستطيع حتى أن يغرق سفينة كبيرة محملة بالفحم الحجرى بنفخة واحدة، أو اصطياد ألف سمكة كبيرة من البحر بدون شبكة صيد".

ينظر مهرداد إلىّ، ويسأل ابنته مبتسمًا: "وما رأيك أنت يا جووان؟".

– "جيد، صحيح أن آلن قد سرق ساندوتش الجبنة بتاعى الأسبوع الماضى من يدى. لكننى بعتقد أن الحق معه فى هذا الموضوع".

– "هذا هو رأيى أيضًا يا جووان".

– "بابا؟".

– "ماذا يا عزيزتى؟".

– "هل تعتقد أن الله يمكنه أن يفعل كل شىء؟".

– "بالطبع يا جووان".

– "حتى ممكن يشفى ماما؟".

احتار مهرداد وجلس على الكرسى، واضعًا يده على جبينه، متكئًا على الكرسى، ويقول: **"of course honey"**[٢٠].

(١٩) البوابة الذهبية.

(٢٠) "بالطبع يا حبيبتى".

# ( ١٣ )

كانت الساعة التاسعة صباحًا حينما قابلت الدكتور "مير نصر" بميعاد مسبق؛ فقد دوّنتُ عنوانه في المحكمة من الورقة التي كانت في جيب بارسا عند انتحاره.

عيادة الدكتور مير نصر في الطابق السابع في برج مكون من واحد وعشرين طابقًا.

على الرغم أنه قد رأى بارسا مرة واحدة فقط منذ ثمانية عشر شهراً ماضية؛ لكنه تذكره جيداً على خلاف المحقق فيضي. لم يكن يعرف شيئا عن انتحار بارسا، وحينما حكيت له الموضوع؛ تعجب أكثر مما تأسف لما حدث. اتصل تليفونيًا بالسكرتير وطلب منه أن يحضر ملف بارسا.

أقول له: "كيف لا تعرف؟ إن جميع الصحف قد نشرت الخبر".

يصب القهوة في فنجانين فرنسيين ماركة آركورك ويقول: "أنا لا أقرأ الصحف، وأنصح الأشخاص الذين يأتون إلى هنا ألا يقرؤوها".

يضع أحد الفنجانين أمامى: "ليست فقط الصحف، بل إننى أعتقد أن أى شىء آخر يريد أن ينقل معلومات متفرقة وغير مرتبة دفعة واحدة إلى مخاطبه؛ فهو يضره. فالراديو، والتلفزيون، والصحف والأقمار الصناعية عملهم الوحيد إن لم يكن إلقاء وابل من القنابل فوق رؤوسكم؛ فإنها أمطار من المعلومات المتفرقة وأغلبها بلا فائدة".

هذا الذى قد حدث من تغيير فى سوق بورصة المكان الفلانى، أو هذا الذى حدث من مقتل خمسة وستين شخصا فى نبراسكا على أثر سقوط طائرة، أو حتى المزارع الدنماركى الذى قد وجد قطة عجيبة فى إسطبل مزرعته، والتى يكون لونها فى مقابل ضوء الشمس اللون الأخضر، وفى الظل باللون الرمادى. ما فائدة ذلك بالنسبة لنا؟ فى الواقع ما فائدة معرفة أن امرأة ولدت ثلاثة توائم أو أن رجلا ما قد غرق ولداه فى بانيو الحمام؟".

أشرب من القهوة أنا أيضا وأقول مازحا: "فى النهاية، أمطار الأخبار أو وابل الأخبار أفضل من جفاف سنوات الجهل".

- "لست موافقا. فكثرة الأخبار تشوش معرفة الإنسان، وحينما تضطرب معرفة الإنسان يصبح أيضا عاجزًا"؛ فالمعرفة المضطربة أسوأ من الجهل، ذلك لأنه على أى حال فى عدم المعرفة هدوء لا يمكن وجوده فى المعرفة. مثلا لو عرفتَ أنك مصاب بنوع من الأمراض، وأنك بعد بضعة أشهر سوف تموت؛ فماذا سوف يكون إحساسك؟ حتى إن بعض الأشخاص لديهم الاستعداد أن يدفعوا أموالاً كى لا يعرفوا أشياء ما.

لا أجيب على سؤاله، لكن كى أستمر فى الحديث أقول: "على أى حال فى دنيانا هذه الفرار من وابل المعلومات كما تقول ليس أمراً سهلاً".

يشرب قليلاً من قهوته ويقول: "أوافق أنه عملٌ صعبٌ، لكن على كل حال أنا أفضل أن أسمع الموسيقى أو أن أقرأ أشعار "حافظ الشيرازى"، بدلاً من قراءة الصحف أو مشاهدة التلفزيون".

أحملق فى عينيه وأقول بصوت يحمل معانى أخرى ممازحا: "أوافقك الرأى".

يدخل سكرتير الدكتور إلى الغرفة، ويضع ملف بارسا على مكتبه. ينظر الدكتور مير نصر إلى سكرتيره الذى كان يخرج من الغرفة، ويقول ممازحا: "فى دنيا كبيرة بهذا الشكل؛ فإن هناك كثيراً من الأشياء أفضل من الصحف والتلفزيونات. أتوافق على هذا؟".

أقول مبتسما: "فى الوقت الحالى، الشىء الأهم من أى شىء آخر بالنسبة لى هو محتويات هذا الملف الذى أمامك".

يتصفح الملف ويقول بجدية شديدة: "نحن - الأطباء النفسيين - كالأشخاص المقربين أو كقسيس الكنيسة أو كموظفى البنك. لا ينبغى قط أن نفشى أسرار الآخرين. بالتأكيد لا يجب أن تعارض أى مسعى فى المجتمع يؤدى إلى تقليل مثل هذا السلوك غير المناسب ولو بمقدار ذرة".

أضع خطاب الجامعة أمامه على الطاولة، وأذكر له مرة أخرى هدفى من هذه الأبحاث، وأقول: "الدكتور بارسا الآن ليس له وجود؛ فما هو الضرر الذى من الممكن أن يلم به من قراءته؟".

يفكر قليلاً، وبعد ذلك يقول إنه يستطيع أن يعطينى الملف فقط فى حالة وجود موافقة مكتوبة من أسرته.

أذهب من عيادة الدكتور مير نصر مباشرة إلى مكتب عملى فى مؤسسة الأبحاث؛ فأجد ورقة مدونة على مكتبى من رئيس المؤسسة، يريد فيها تقريراً عن تقدم مسيرة العمل. فأى تقدم فعلته؟!".

أسترخى على ظهر الكرسى وأغمض عينى. أفكر فى المعلومات التى قد حصلت عليها من طلاب بارسا ووالدته، الملف القضائى و"كيوان بايرام". ورغم كل هذه المعلومات إلا أنها لا تفيد فى شىء.

أذهب نحو النافذة وأنظر إلى أسفل. قد اصطدم أتوبيسان؛ فأغلقا الطريق، وقد اصطف خلفهم الكثير من السيارات فى الزحام، أما السيارات الأكثر بعداً التى لا تعرف بالحادث؛ فقد نفد صبرهم وأخذوا فى استخدام أبواق سياراتهم بشكل دائم. يضع شرطى ورقة مخالفة تحت مَسَّاحة إحدي السيارات قد ركنت فى الممنوع.

يضرب جرس التليفون، وأذهب بسرعة من جانب النافذة نحو مكتبى وأرفع السماعة.

سُمع صوتٌ حزين من المتحدثة. في البداية أظن أنها سايه؛ لكنه ليس صوت سايه، تقول: "فجأة كل شيء تداخل. حينما بدأت اللعبة أنا جريت بسرعة وهو جرى خلفي. أنا قلت إنني سأخرج من اللعبة؛ لكن كل ما كان يقوله لي: "كوني أكثر هدوءاً". كنا ندور ونلف حول حمام السباحة. بعد ذلك جريت أسرع، وهو أيضاً أُجبر أن يجرى أسرع. والله ما كان ذنبي. أنا ذهبت إلى حافة حمام السباحة؛ فقال: "لا تذهبي هناك!" لم أعره اهتماما وبعد ذلك جاء هو أيضًا إلى حافة حمام السباحة، و جرينا كثيرا خلف بعضنا البعض حول الحمام إلى أن تعب وداخ؛ لكنني لم أتعب. والله لم يكن ذنبي. إنني لم أكن أنظر خلفي فقد كنت خائفة جداً. بعد ذلك سمعت صوت اصطدام شيء بالماء حين وقوعه فيه. وانتثر الماء على رأسي ووجهي".

تسكت لحظات. قبل أن أقول لها إنها اتصلت برقم خطأ، وأضع السماعة، أسألها على سبيل الفضول والبحث: "بعد ذلك ماذا حدث؟".

**"nothing. Then I gradually stopped and start at the water. But he never surfaced"(٢١).**

---

(٢١) أي "لا شيء. بعد ذلك أنا وقفت بهدوء أحملق في سطح الماء؛ لكنه لم يصعد لأعلى مطلقاً".

## ( ١٤ )

اتصلت بوالدتى عدة مرات؛ لكن لم يرفع أحد السماعة. قلقت بعض الشيء. بعد ذلك استلقيت فوق السرير وتصفحت مذكرة مكتوبة بخط يد الدكتور محسن بارسا. قد كتب بارسا فى مقدمة مذكرته أنه على الرغم من أنه قد استفاد فى تكميل هذا المشروع من أصدقائه الذين يحظون بمؤهلات عالية فى مجالات الرياضيات، والعلوم السياسية، وعلم الاجتماع، والفلسفة وعلم النفس، فإن أبحاثه ليست علمية مطلقًا، ويجب فقط أن تكون بعنوان: مقدمات، وخطة أولية لتلك المباحث.

قد رُسمت فوق أكثر صفحات المذكرة التى أوراقها على شكل مربعات كالشطرنج، منحنيات فى أجهزة ثنائية الأبعاد وثلاثية الأبعاد. هذه المنحنيات ذات الشكل الهندسى هى توابع تشير من وجهة نظر بارسا إلى العلاقات بين المفاهيم الإنسانية بلغة رياضية. وتشير مجموعة من هذه المنحنيات إلى ارتباط السعادة بالتداخل مع مفاهيم أخرى مثل: الوظيفة، النفوذ الاجتماعى، المؤهلات، الشهرة، الدخل. وفى مجموعة أخرى من المنحنيات يوجد مسعى لبحث كمى وكيفى للمجتمع النموذجى

أو المثالي فى البحث الكمى، ثم.دراسة دور البارومترات من قبيل مساحة الأرض، معدل السكان فى المجتمع، نسبة الشباب والنساء من كل المجتمع، العمل، معدل الدخل القومى بدون صرف النفقات، الأمن والنظم الاجتماعية، الاستقرار السياسى والقدرة العسكرية، القدرة على الرقى وسرعة نمو المجتمع. وفى البحث الكيفى تم تخمين مقدار بعض المفاهيم مثل: الاقتصاد، الثقافة، الحرية، التكنولوجيا، المذهب، الفن، الصحة، التعليم، الصناعة، بالنسبة للمعدل العام لكل المجتمع المطلوب.

ينصب قسم آخر من المذكرة على عوامل التخريب التى تساهم فى ركود المجتمع أو تخلفه. مضافا إلى هذا القسم إحصاء مفصل عن المشاكل الاجتماعية لإحدى الولايات الأمريكية فى مجال السرقة، والنصب، والاعتداء بالقوة، والقتل، والنصب وتزوير المستندات.

يدق جرس الباب؛ فأضع المذكرة فوق الطاولة وأذهب نحو الباب. الساعة العاشرة صباحًا. أفتح الباب؛ فأجد على رضا قد جاء ليعطينى مفاتيح سيارتى. نجلس فى الصالون وأريه مذكرة بارسا، وأطلب منه أن يقرأها ويقول لى لو وجد فيها شيئًا يتعلق بانتحاره.

ينظر على إلى المذكرة، ويقول مبتسمًا: "هل ما زلت مشغولا بنبش قبر بارسا؟".

- "بارسا، هذا على الرغم من موته؛ فلن يقول لماذا قُتل حتى يدخلنى القبر. يوجد فى منزل بارسا كمبيوتر ربما يكون به معلومات قيمة. فى النهاية أصابتك شرارات هذا البحث؛ فهل تساعدنى؟".

لم يقل شيئا لعدة لحظات. بعد ذلك قال: "سأساعدك، لكن أحيانًا توجد أسئلة أصعب من لماذا انتحر بارسا؟".

إجابات هذه الأسئلة أشياء أعلى من مستوى إدراكنا.

لهجته كالعادة مملوءة بالكناية.

- "هل يوجد موضوع خاص تريد أن تقوله؟".

كأنه لم يسمع صوتي ويستمر قائلاً: "هذه الأشياء لا يمكن أن تفهم أو تدرك أو حتى أن توضح. يمكن الاقتراب من هذه الأشياء أو الإحساس بها أو حتى التعمق فيها؛ لكن لا يمكن مطلقًا إدراكها أو فهمها ولو حتى بمقدار ذرة".

- "هل أنت مجبور أن تتحدث بالكناية؟".

- "يصمت ويحرك علبة المناديل الموجودة فوق الطاولة الزجاجية".

يحرك العلبة حتى حرف الطاولة، ويقول: "ما أتذكره أن سايه كانت تحبك بسبب إيمانك وليس بسبب عقلك".

أضع علبة المناديل أمامه وأقول: "هل قالت لك سايه إننا فى قطيعة؟".

- "سايه قالت إنك تشك فى أشياء كثيرة. أنا لست قلقا من شكوكك؛ لأن الشك حق إنسانى؛ لكننى قلق من شىء آخر".

– "قلق من ماذا؟".

– يسكت. أسأل مرة أخرى: "ماذا يقلقك؟".

كأنه يبحث عن الكلمات في ذهنه، يصمت عدة لحظات وبعد ذلك يقول: "أنا قلق أن تنكسر فجأة من نفسك. أن تقترب إلى ذلك الحد الذى لا يُرى بعده شىء. بارسا انتحر وأنت مازلت لا تعلم لماذا. والإجابة مهما كانت فهى حقيقة صغيرة؛ لكن توجد أيضًا حقائق أكبر: هل سمع موسى فى الوادى المقدس كلام الله؟ لا أحد يعلم. يمكن لأى شخص أن يثبت بالمنطق العلمى أن موسى سمع أو لم يسمع صوت الله من بين الشجرة فى تلك الليلة الباردة والمظلمة. هل تجلى الله لجبل الطور؟ لا يعلم أحد. لا يوجد أى جهاز علمى لإثبات أو نفى تجلى الله للجبل. هل الله موجود؟ لا يعلم أحد.

لا يمكن لأحد أن يقترب من إجابات هذه الأسئلة التى كل واحدة منها حقيقة كبيرة، لكن عدم العلم بنفس القدر الذى لا يثبت شيئًا لا ينفيه أيضًا. نحن نستطيع أن نعتقد بهذه الأشياء أو لا نعتقد، ليس إلا".

آخذ جهاز التحكم (الريموت) من فوق الكمودينو وأفتح التلفزيون. وقد جلس على رضا معطياً ظهره للتلفزيون.

– "أنا أعتقد فقط بالأشياء التى أفهمها. قصدى من الفهم هو التجربة والعقل".

يأخذ الدب اللعبة الصغير، الذى عُلِّق فى مفاتيح السيارة، ويقول: "هذا كلام صحيح".

- "هل تُجرّب الله؟".

يلقى المفاتيح فوق الطاولة قائلاً : "أنا أعرف أشخاصا يدركون ليس فقط وجود الله، ولكن مميزاته أيضًا بلعبة. قصدى من اللعبة هو تجربة الله".

أتضايق من كلامه، لكننى أحاول أن أكون باردًا.

- "هل من الممكن أن تُوَضِّح لى أنا الملحد؛ بأى جهاز وفى أى معمل يمكن تجربة الله؟".

يذيع التلفاز فيلما تسجيليا عن تاريخ صناعة التلسكوب.

ينظر على رضا بدقة فى عينى ويقول بصوت حزين وخافت شيئًا أُجبرت لكى أسمعه أن أنحنى نحوه. ويقول بلهجة مملوءة بالحزن: "متأسف. أنا فى الواقع متأسف لأن الملحدين لا يستطيعون أن يجربوا الله. تجربة الله، على خلاف تجربة الطبيعة التى يتم الحصول على قوانينها بعد الاختبار، فى البداية يجب أن تؤمن بالقانون وبعد ذلك يتم تجربته و اختباره. حتى يجب أن أقول إنه كلما كان إيمانك بذلك القانون أقوى فإن احتمال نجاح التجارب يكون أكثر. يعنى أنه بمقدار اعتقادك بالله فإن وجود الله لك يكون بنفس المقدار. كلما كان اعتقادك به أكثر؛ فإن وجوده وحضوره يزداد بالنسبة إليك".

يشبك أصابع يده فى بعضها البعض، ويسكت عدة لحظات. تتجمع الدموع فى عينيه ولكنها لا تنصب منهما.

لا أفهم الشىء الكثير من كلامه؛ لكن كالعادة أشعر بوجود انسجام ومنطق رائع فى كلامه. منطق إما أن تقبله كله أو تتركه كله. يخرج منديلاً ورقيًا ويمسح عينيه، ويقول: "على الرغم من أن وجود الله ليس له علاقة بإيماننا؛ لكن الإحساس بهذا الوجود مرتبط بقدر إيماننا بشكل تام".

يحملق على مرة أخرى فى علبة المناديل الورقية التى فوق الطاولة، وفى هذه المرة يضربها بطرف أصبعه بقوة أكثر. تهتز علبة المناديل الورقية وهى تمر من جانب الدب اللعبة فى ميدالية المفاتيح وتصطدم بطرف الفنجان ثم تميل قليلاً وبعد ذلك تقترب بسرعة من حافة الطاولة؛ فأمد يدى للحظة كى أمنع سقوط العلبة من فوق الطاولة لكنها لم تسقط. تقف العلبة فى حالة عدم ثبات، وقد بقى جزء صغير منها فقط فوق الطاولة وبقى الجزء الآخر معلقا فى الهواء! انتابنى شعور بالحيرة. سرحت فى وضع علبة المناديل.

أنظر إلى على رضا نظرة مملوءة بالتعجب واللهفة والشك والاستفهام والخوف؛

فقد غطى وجهه بيديه ولا يتحرك.

# ( ١٥ )

فى السيارة، خلف الإشارة الحمراء فى تقاطع شارعى "غاندى" و"جهان كودك"[٢٢] أفكر فى مهرداد. فقد مرت عدة أيام ولم أره. فهو يسعى للحصول على فيزا لأمريكا من أجل والدته. كان ذلك فى أواخر شهر فبراير[٢٣]، حيث كان الطقس شديد البرودة.

يهب نسيم بارد من نافذة السيارة إلى داخلها.

كان من المقرر الليلة أن أتناول العشاء برفقة مهرداد وعلى رضا، فى أحد مطاعم دنج بتجريش[٢٤].

سأسافر إلى أصفهان على طائرة صباح الغد؛ كى أتحدث مع "شهره بنيادى" التى انتقلت هذا الفصل الدراسى إلى أصفهان. وحينما أعود من أصفهان يجب أن أجد "مهتاب كرانه". أتمنى لو أنهى قضية

---

(٢٢) أطفال العالم.

(٢٣) بهمن.

(٢٤) اسم مطعم فى منطقة تسمى تجريش بشمال طهران.

بارسا فى أسرع وقت ممكن وأخلِّص نفسى من هذا التشتت؛ فقد تعبت من هذا الوضع. منذ أكثر من عشر سنوات وأنا أتجول كالغجر فى جامعات مدينة طهران، ما بين هذه الجامعة وتلك الجامعة. فقد سئمت من قاعة المحاضرات والفصل الدراسى والمواد الدراسية وغيرها من الأشياء التافهة. سيذهب على رضا أيضًا فى صباح الغد ليرى كمبيوتر بارسا ويتفقد ملفاته، خلال الأيام التى لن أكون موجوداً فيها فى طهران.

ما زالت الإشارة حمراء، وصارت السيارات خلف بعضها البعض كالقطار. منذ مدة وأنا لا أعلم شيئا عن سايه، ولا توجد أيضًا أى أخبار عن أمى ومونس أختى.

بارسا وبارسا وبارسا كل شىء أصبح بارسا.

اللعنة علىّ أنا أيضًا؛ لأننى اخترت هذه الرسالة، فهذا البحث لعنته تحرق كل حياتى.

إننى لم أتقدم ولو مقدار ذرة. تقف سيارة أسبيروى حمراء موديل ٢٠٠٠ بجانبى وتستخدم آلة التنبيه. أنظر للحظة إلى سائقها، الذى يلوح بيده لى الآن، من خلف زجاجها الفاميه. إنه "پرويز"، أخو أحد زملاء سنوات الدراسة بالجامعة. تجلس بجانبه فتاة ترتدى نظارة شمسية، من تلك الكائنات الجميلة والغنية، والماهرة الذكية، وحينما ينزل زجاج السيارة، يخرج صوت موسيقى روك آند رول من بين نافذة سيارته.

يقول: "كيف حالك يا يونس، إنت فين يا ابنى؟".

أبتسم وأنزل زجاج نافذة السيارة. أشير إلى إشارة المرور، وأقول: "خلف الإشارة الحمراء". ثم بعد ذلك أسأله سؤالاً من أكثر الأسئلة التى لا ميزة لها فى حياتى: "ما الأخبار". أشم رائحة عطر البرفان النفاذة التى تخرج من سيارته. يضم "پرويز" شفتيه ويشير بشقاوة إلى الفتاة التى تجلس بجواره، ويقول: "أشم رائحة البنفسج وذوائب المحبوب، وأنظر للون الشقائق وأدعوه لشرب الخمر".

بعد ذلك يضحك بشدة وتبدأ الفتاة الجالسة بجواره فى الضحك هى أيضًا. أعتقد أن پرويز عبارة من ثلاث جمل: "پرويز لا يفكر. پرويز سعيد. پرويز مرتاح".

يقول: "أدينا موجودين. فإما أن تكون الدنيا ملخبطة معى أو بكون فرحان وفيه حفله! إما الألم أو العشق والصفاء. الخلاصة كله تمام. إما أن أكون مع "شورى" العزيزة أو مع "شيرين" الغالية، وحينما لا يكون أى منهم موجود، يكون العشق لجمال الثريا...".

يضيء نور الشمس مباشرة فى عينىّ، أُنزِّل الشماسة الموجودة أعلى زجاج السيارة فتقع عيناى على صورة سايه، والتى كنت قد لصقتها خلف الشماسة. تقف ساية فى الصورة تحت لوحة دعاية إعلانية تجارية كبيرة تقوم بالدعاية لساعة ماركة أومكس ويضحك وجه سايه إلى نقطة غير معروفة. لا زال پرويز يتحدث: "السيد آسى خان قال لسيا: اغربى عن وجهى!"

قال: سمعت بنفسى أيتها القذرة! قالت سيا: سمعت خطأ سيد آسى!

قال آسى: سأقتلكِ! سأقتله! أقسم بالله سوف أقتلكم أنتم الاثنين. قلت اهدأ سيد آسى! قلت لسيا، تنازلى أنت وقولى أخطأت، قولى لم أفهم. قولى أنا خادمتك. قال آسى ياللى معندكيش دم! ياللى معندكيش نخوة!

لو شرب دماءها فله الحق. قلت لسياوش: يا أخى بقى أنت تركت كل البنات اللى فى المدينة وذهبت إلى سوسن؟"

- "مين سوسن دى".

ينظر پرويز إلى إشارة المرور على الطرف الآخر من تقاطع الطريق، والتى قد أضاءت إشارتها الآن باللون الأصفر، ويقول: "أخت آسى الكبيرة، أفديك بروحى".

تضىء الإشارة باللون الأخضر وفجأة تختفى السيارة الأسبيروى الحمراء بين مئات السيارات التى تتجه نحو الشمال لأعلى. بعد ذلك كأن شيئًا غير مفهوم يصعد من أعماق ذهنى ويصعد مثل خروج ضفدع أسود ولزج من بين مستنقع. ويجعلنى عاجزًا وسط تقاطع شارع غاندى بين السيارات التى تنتشر فى جميع الأنحاء وتجعلنى يائسًا عاجزًا كالمجنون.

أنظر إلى جانبى الشارع حيران يائسًا وبعد ذلك يتملكنى الخوف رويدًا رويدًا كطفل أضاع أمه فى الشارع. أمسك بيدىَّ عجلة قيادة السيارة بشدة وأغمض عينىّ للحظة حتى يتضح ذلك الشىء غير الواضح وأسأل نفسى:

هل الله موجود؟

## ( ١٦ )

تفتح سايه عقدة عباءتها وهى تقول: "ربنا يتقبل".

أقطع التفاحة بالسكين إلى أربع قطع وأقول لها: "إنك أجمل كثيراً فى عباءة الصلاة".

تطوى سايه العباءة حول قدميها، وتقول:"لست فى حاجة لأن تعاملنى كالأطفال. أعرف أنه لم يكن يجب أن أتصل بعلى رضا. لكن الحقيقة لم يكن لدى حل أو خيار آخر؛ فقد كنت خائفة جداً عليك".

أقول لها: "ألا زلت خائفة؟".

- "لا؛ لست خائفة. على رضا قال لى إنه لا داعى للخوف، وقال إن الشك مرحلة جيدة في الحياة؛ لكنها محطة سيئة جداً أيضا".

أغرس السكين فى إحدى قطع التفاحة؛ وأقول: "لو أننى نزلت فى هذه المحطة وبقيت فيها إلى الأبد؛ فماذا سوف يحدث؟".

ترفع سايه حجابها من على رأسها؛ فيسيل شعرها فوق كتفها، وتقول: "على رضا يقول.. إن مثل هذا الشىء مستحيل؛ لأن الشك مجرد

وهم ليس إلا، وإن الله موجود، ووجـوده ليس له عـلاقة بنا أو بشكوكنا أو حتى بمعرفتنا؛ وقال على رضا أيضًا إن الشك والتوهم، مجرد حفرة، وقال إن ذلك الجانب الآخر من تلك الحفرة (الشك) ليس شيئًا حتى تسقط بداخله؛ فالعبور منه أمر يسير".

– "على أى حال أنا آسف لما حدث فى ذلك اليوم. حقًا أنا فى غاية الأسف".

تنظر إلىَّ عدة لحظات، وتقول بعد ذلك: "على أى حال أنت زوجى المستقبلى".

تقول عزين: "إن الرجال بقدر ما يتقدمون فى السن وبقدر ما يتعلمون إلا أنهم مثل الأطفال، يغضبون سريعا ويندمون سريعا ويتصالحون أيضًا سريعا. من الممكن ألا يقولوا شيئا أمام زوجاتهم، إلا أنهم حينما يصبحون بمفردهم يبدؤون فى التألم. وتقول إنه لهذا السبب لا يرى أحد دموع الرجال. وتقول عزيز أيضًا إن النساء أيضًا على قدر صغرهم إلا أنهن هن الأمهات، وهن ملجأ أو ملاذ الرجال، حتى أن الفتيات الصغيرات هن حصن وملاذ آبائهن".

عزيز قالت إنك سوف تعود.

أقوم من على المقعد وأجلس مرتكزًا على ركبتى أمامها. تقع عينى على كفيها وتبقى ثابتة عليهما. وقد ظهرت عليها بعض تجاعيد الأصابع من كثرة غسيل الأوانى. أقول لها: "عزيز تقول الحقيقة".

أنا لا أدرى ماذا يحدث لى. فى رأسى ضجيج شديد لدرجة أننى أشعر بأننى كأطفال المدارس الابتدائية، فلا أعرف شيئًا عن أى شىء. فقد أصبحت أبسط وأسهل الأسئلة وكأنها لغز معقد ومحير بالنسبة لى. وكأن جميع الأماكن قد أظلمت وصارت معتمة. وكأننى قد صرت أنا أيضًا أعمى. أضع رأسى فوق ركبتى سايه وأغطيها بطيات عباءتها البيضاء وأضع يديها فى يدىَّ، كأن ألم السنوات القليلة الماضية ينفجر بداخلى. أشم رائحة عطر الياسمين تفوح من العباءة التى تصلى فيها سايه.

تخرج سايه يديها من بين أصابعى وتضعها بين خصلات شعرى وتبدأ فى قراءة شعرٍ أشعر أنه ليس غريبًا علىَّ وأنه معروف لى:

رأيت فى المنام أن شخصًا سيأتى

رأيت فى المنام نجمة حمراء

رأيت رموش عينى تطير فى الهواء

وأحذيتى تصبح أزواجًا

وأننى أصبحت عمياء

ولو أننى أكذب

فسيأتى شخص

شخص آخر/ شخص أفضل/ شخص ليس كأى شخص/ ومثل ذلك الشخص الذى يجب أن يكون/ وطوله أطول من أشجار المنزل/ ووجهه/ أكثر ضياء من إمام الزمان (المهدى المنتظر)/ واسمه ذلك الاسم الذى تناديه أمى/ فى أول الصلاة وفى نهايتها/ يا قاضى الحاجات/ ويستطيع/ أن يقرأ جميع الكلمات الصعبة فى كتاب الصف الثالث الابتدائى/ وعيونه مغلقة/ إننى كنست السلالم/ وغسلت زجاج النوافذ أيضًا/ سيأتى شخص/ ويعطى شراب السعال الأسود دواءً/ وسيعطى درجة للمستشفى/ ويعطينا نصيبنا/

إننى رأيت منامًا..

تخرج "سايه" أصابعها من بين خصلات شعرى وتضعها بين أصابعى للحظة. بعد ذلك تضع يديها فوق جبينى، ثم تضعها فوق عينىّ اللتين أشعر أنهما تحترقان الآن من الألم وتفيضان بالدمع.

# ( ١٧ )

حينما نصل أنا ومهرداد إلى المطعم، نرى على رضا قد جلس على طاولة قريبة من النافذة، وكان يستمع إلى كلام شاب يجلس بجواره. يتحدث الشاب بحدة وهو ثائر ويلوح بيديه بسرعة. يستمع على رضا إليه بدقة. نسلم ونجلس على الكرسى.

يصب مهرداد لنفسه كوب ماء وأقول للجارسون الذى اقترب من الطاولة: أحضر أربعة أطباق شوربة. يشرب مهرداد كوب المياه بأكمله، وأكتب لعلى رضا عنوان منزل بارسا؛ كى يذهب غداً ليتفقد كمبيوتر بارسا. بينما أكتب العنوان أستمع دون قصد إلى الشاب الذى يتحدث مع على رضا؛ فأحتار. هو يعمل سائق تاكسى؛ لكنه يقول أشياء أعتقد أن أى سائق تاكسى لم يفكر بها من قبل وحتى الآن. أنظر إلى مهرداد خلسة كى أدرك رد فعله من حالة وجهه. هو أيضاً كان متعجباً وحائراً. من هذه الناحية لم تكن حالته أفضل منى، على شفاهه بسمة خفيفة تختفى رويداً رويداً مع كلام السائق ويحل محلها القلق.

- "رويداً رويداً يتضح كل شىء لى، حتى أننى أستطيع أن أشعر بوزن الأمور أيضاً. يصبح مثل القيادة فى الظلام فى الجبل؛ فقط يجب

أن يكون نظرك على المكان الذى يضيئه نور السيارة. المترات القليلة التى أمام السيارة، لا يجب أن تنظر إلى جانبى الطريق، يجب أن تمسك بعجلة القيادة وتنظر فقط أمام السيارة ببضعة أمتار، لا يجب أن تتحدث مع شخص عن شىء، لا يجب أن تسمع شيئا. يجب أن تطفئ تسجيل السيارة أيضًا؛ كى لا يتشتت ذهنك، لا يجب أيضًا أن تستمع إلى تفاهات الراديو، ويجب أن تنسى كل شىء حدث أو وقع أسفل الجبل، ولو استمريت بهذا الشكل فإن المنحنيات الصعبة رويدا رويدا سوف تريك نفسها، ولن تجد فى الأمر أى خطر لكن لو أردت أن تكون مشغولا بالتفكير فى أشياء أخرى؛ فمن المعلوم أنك لن تستطيع أن تخطئ أى خطأ، لأنك إما أن تسقط فى قاع الوادى وإما أن تصطدم بالجبل. انظر، لن أقول إنى أخطأت؛ لكن بالأمس وأنا ذاهب إلى المنزل، فى منطقة "عباس آباد"، نادت امرأة فقالت "الهيه"[٢٥]؛ ففرملت. كأن أحدا قال لى: "حاسب! خذ بالك من تلك المرأة!". ركبت المرأة ولم تتحدث حتى طريق ميرداماد[٢٦]. هناك حيث قالت: "الحانوتى يحمل كل أهل الدنيا وناسها القذرة". قالت إنها تريد أن تجد رجلا يقتلها ويريحها. لم أقل شيئًا. ولم أتعجب أيضًا؛ لأننى رأيت كثيرًا مثل هذا النوع من الركاب. وحينما دخلتُ فى الطريق السريع مدرس[٢٧]، قالت إن زوجها قد تركها

---

(٢٥) اسم منطقة شمال طهران.

(٢٦) اسم منطقة فى طهران.

(٢٧) اسم طريق يشبه المحور.

منذ عامين، وقال لها إنه يريد أن يسافر و غير معروف متى سيرجع. قالت إن زوجها كان عاطلا لا جدوى ولا فائدة منه؛ فقد تركها هى وأطفالها الثلاثة فى جهنم هذه بلا مأوى أو عائل. قالت إنها متأكدة من أن ذلك السافل لن يعود. قلت لها: "لو تقولين هذا الكلام كيلا آخذ منك أجرة فأنا لا أريد منك الأجرة". قلت لها: "أنا ذاهب لبيتى ومن أجل رضا الله فإننى على استعداد أن أوصلك إلى أى مكان تريدنه". فى اعتقادى أنا كنت أريد فعل عمل صالح. يعنى أنا فكرت فى تلك اللحظة فى الكلام الذى قلته وقلت لنفسى: "عباس! الآن هو الوقت". سألَت قائلة: "لماذا تفعل ذلك؟".

قلتُ: "من أجل رضا الله".

بعد ذلك ضحكت فجأة وتمادت فى الضحك بشدة حتى ارتطمت جبهتها بتابلو السيارة. قلت لها: "لا أعتقد أنى قلت شيئا مضحكا". قالت: "فى الحقيقة لقد قلت شيئًا مضحكا جدا. فى الواقع كلامك مضحك جداً". قالت: "هل تقول لربك أن يرسل من سمائه بضعة نقود من أجل هذه المسكينة". فلما قالت هذا ضحكت مرة أخرى.

بعد ذلك أصبحت جادة وقالت: "مشكلتى أنا وأطفالى الثلاثة لن تحل ببقشيشك علينا بقيمة الأجرة يا روح قلبى".

بعد ذلك وضعت عباءتها على كتفها وقالت: "انظر، ألا تريد الليلة بعض البهجة؟ أليس ذلك أفضل. أنت تقضى وقتا سعيدا وأنا أحصل على بعض النقود. أعتقد هكذا يكون ربك راضيا كل الرضا أيضا. موافق؟".

دخلتُ فى شارع فرعى وقلت لها: "أسمعت إلى الآن شيئًا عن الله؟".
تُخرِج مرآة صغيرة من حقيبتها، و تنظر لنفسها فيها وتقول: "سمعت أشياء، ولكننى لم أرَ الشىء الكثير، لكن ذلك النسناس أعتقد أنه لم يسمع شيئا قط. أقصد زوجى. أعرف الكثيرين الذين لم يسمعوا شيئًا عن الله. أعتقد أيضا أن الله لم يسمع عنى الشىء الكثير".

بعد ذلك أنزلت زجاج السيارة وقالت: "لو كان قد سمع؛ فلابد أنه لم يكن ليتركنى تحت رحمة زوجى العديم القيمة. لو كان قد سمع؛ فإننى لم أكن لأجبر أن أكون كل ليلة فى مكان من أجل لقمة خبز".

بعد ذلك تتنهد وتقول: "لو كان قد سمع ما كنت أجبرت أن أكذب على أولادى كل يوم بأننى أذهب للتسوق". ركنت السيارة فى جانب الشارع ووضعت يدى فى جيبى ووضعت فى يدها كل ما عملت به إلى ذلك الوقت من اليوم حتى النقود الفكة، أعطيتها إياها وقلت لها: "تخيلى أن إلهى قد ألقى هذه النقود من سمائه لك".

نظرت إلىَّ عدة لحظات كشخص قد رأى جنًا خطفت النقود بسرعة. ونزلت من السيارة وحملقت فى عينى، وكانت الدموع قد تجمعت فى عينيها، وقبل أن تغلق الباب قالت: "قبِّل لى وجه الله المقمر!".

ذهبت إلى عدة شوارع وشعرت أن حالتى ليست مطلقا على ما يرام. لم يكن لذلك علاقة بموضوع تلك المرأة. أحسست أن فى هذه الأماكن القريبة منى شخص يريد أن يموت ويطلب منى المساعدة. بالتأكيد لا يوجد أحد يريد أن يموت؛ لكنى كنت أحس ذلك بصورة سيئة

حتى أنى كنت أسمع صوتا أيضًا. وكأنه من قاع بئر، كأنه من مكان مظلم، كأن صوتًا مثل طنين الذباب أو صرير الصراصير. بعد ذلك حينما أتعبنى الصوت ركنت السيارة على جانب الشارع ونزلت منها. لم يكن الشارع مضيئا بصورة كافية. الصوت يجيء من ناحية الرصيف. ذهبت ناحية الرصيف ودققت السمع. مشيت بجوار الحائط أنظر إلى الأرض كشخص فقد نقوده. بعد مسافة قصيرة وجدت حفرة صغيرة فى الحائط وكأن الصوت قد جاء من الحفرة. جلست على ركبتى ونظرت فى الحفرة؛ فرأيت صرصارا واقعا على ظهره ويحرك رجليه لكنه لا يستطيع الوقوف على قدميه وكان فى فمه قطعة أكل ولا يريد أن يدعها. وضعت يدى فى الحفرة وعدلت الصرصار على قدميه. خرج الصرصار من الحفرة وراح مباشرة نحو فتحة كانت على مسافة ضئيلة. حيث كانت بعض الصراصير الصغيرة واقفة وكأنهم فى انتظار أمهم".

يقول هذا الكلام ويتنهد ويقوم من على الكرسى ويذهب نحو باب المطعم. ننظر أنا ومهرداد إلى على رضا، وعلى رضا كأنه مازال لم يرى مهرداد يقوم من على الكرسى ويعانقه ويبقيا متعانقين لدقيقة، وهما لا يتحدثان بشيء. بعد ذلك يقول على رضا فى أذن مهرداد مداعبًا إياه: **(I Love You)**[٢٨].

---

(٢٨) أحبك.

حينما يأتى الجارسون بالشوربة، يطلب منه على رضا أن يعيد واحدة منها.

أنظر إلى على وأقول: "من كان هذا؟".

يبتسم ويقول: "شخص يسمع حتى صوت دعاء أو مناجاة الصراصير".

كان معنى كلامه أنه ليس لديه استعداد أن يتحدث عن جزئيات أكثر حول سائق التاكسى. ولم يكن هذا أيضا مهما بالنسبة لى. فى الحقيقة لم يكن مهما.

يضع مهرداد فلفلا فى طبق الشوربة الخاص به، ويقول: "فى الواقع لدينا عالم معقد، أعتقد أنه بمقدار تعداد البشر توجد فلسفة للحياة. يعنى: شىء قريب من الستة مليار فلسفة حياة!".

أضع ملعقة شوربة فى فمى وأسأل علياً: "هل أنت جاد فى موافقتك على كلام هذا الشخص؟".

يمسح فمه بالمنديل الورقى ويقول: "بدأت مرة ثانية؟". أقول: "أنا جاد فى كلامى. أنت تعتقد حقا أن ذلك الشخص سمع صوت الصرصار؟".

يقول: "تصديقنا أو عدمه فى كونه سمع صوت الصرصار أو لا لن يُوجِد أى تغيير. هو يعتقد أنه قد سمع، إذاً ظاهراً لا يوجد أى دليل

أو شاهد من أجل الإنكار أو التأييد لما قاله سواه نفسه. لهذا السبب من الأفضل أيضاً أن تشرب طبق الشوربة الذى يخصك".

على يعرف جيدا كيف يهرب من الإجابة عمًّا لا يريد الإجابة عنه.

يقول لمهرداد: "أهلاً بك فى إيران".

يضع مهرداد شوربته جانبا، ويقول: "لم أكن أتخيل أننا فى أى وقت فى المستقبل نجلس ثلاثتنا مع بعض ونأكل معًا، لكن لا يوجد شخص يستطيع أن يتنبأ بالمستقبل وهذه أيضًا واحدة من دلائل عقد الدنيا!".

ينظر على رضا إليه، ويقول: "حقا أنت تعتقد أن الدنيا معقدة؟".

يضع مهرداد أصابعه بين خصلات شعره وهو يقول: "فى الحقيقة أنا مازلت مثل سنوات الدراسة الابتدائية أسيرا لأسئلة معقدة ومحيرة منها: ما الذى يجب عمله؟ ومن أين نبدأ؟ أعنى أنى لا أعلم جيدا ما الذى يجب أن أفعله وما لا يجب أن أفعله. حتى أنى لا أعلم عما أبحث. ربما لهذا السبب حينما تحدث مشكلة فى حياتى لا أدرى كيف أقنع نفسى جيدا ويخرج الموقف من نطاق تحكمى".

أنا سعيد بأن مهرداد دخل فى الكلام؛ فموضوع جوليا زوجته قد خرَّب حالته النفسية بصورة كاملة، وربما يكون الكلام والفضفضة أفضل طريقة لتحمل الضغوط التى تتثاقل على كتفه. أنا بالفعل قلق عليه.

بالأمس تليفونيًا - حينما كنت أضع موعدا لعشاء الليلة - تحدثت مع على رضا بصورة مفصلة عن وضع جوليا، وطلبت منه أن يواسى مهرداد بأى طريقة يعرفها.

يقول على رضا: "أنا موافق أن الدنيا فى النظرة الأولى تبدو معقدة؛ لكننى لا أعتقد أن حل لغزها معقد كثيرًا. بل على العكس إننى أعتقد أيضًا أن حل هذا اللغز إلى حد كبير بسيط وسهل".

أضع الملعقة فى الطبق، وأسال بكناية: "ماذا تقصد بالبساطة؟ فهل يمكن أن تعلمنا أنا و مهرداد طرق الحل البسيطة هذه، وتخلصنا من جهنم هذه؟".

يملأ على رضا كوبه بالماء ويسكت لدقيقة، بعد ذلك يقول: "إن الوجود عبارة عن طبقات؛ فهو متشعب وملىء بالأسرار وبالطبع التعقيد. ومن أجل فهمه وإدراكه فلابد أن تكون إنسانا كاملا وصالحا. هكذا وإجابتى على هذا السؤال الصعب هى: أنا أعتقد أن كل إنسان فى أى موقف يعرف ما هو أفضل ما يستطيع أن يفعله، لكن تبدأ المشكلة المزمنة وهى أن الإنسان لا يريد أن يختار هذا الأفضل. فى هذه الحالة فإنه يكون قد فقد الطريق. وإذا لم يُرد الإنسان أيضًا فى موقف ثان أن ينتخب ويضحى من أجل الأفضل؛ فإن الطريق يصبح أكثر ضياعًا وظلمة. وحينما نختار ألف اختيار سيئ؛ بدلاً من ألف اختيار جيد؛ فإن الوضع يصبح إلى حد كبير مضطربا ومظلما، لدرجة أن الإنسان لا يستطيع حتى أن يخطو أيضًا خطوة إلى الأمام. فهو يشبه المشى

فى الضباب، فبكل خطوة تخطوها يظهر الطريق ويتضح أكثر أمامك. لحسن الحظ أن الوجود إلى هذا القدر سخى وكريم بحيث إنه يعطيكم بشكل دائم مهلة وفرصة أخرى؛ كى تبدؤوا مرة ثانية من الصفر. لكن لو أنكم أمام الموقف، تختارون بشكل جيد؛ فإن الطريق سيظهر بقليل من الوضوح. فى المواقف التالية من المحتمل أن تواجهوا ظروفا أكثر تعقيداً حيث يجب أيضًا أن تختاروا. هذه الاختيارات مثل دهليز به ألف مدخل دائما ما تجدها أمامك ومع كل اختيار تزداد سرعتكم أكثر وأكثر. فكل اختيار صحيح يزيد من سرعتكم إلى ذلك الحد الذى يجعلكم تستطيعون أن تتقدموا أيضًا بسرعة الضوء. فى المقابل، فإن أى اختيار سيئ يقلل من سرعتكم. أولئك الذين يختارون اختيارات سيئة بصورة دائمة يجدون وضعًا مؤسفًا. ويصبحون بطيئين إلى حد بعيد حتى يتوقفوا بشكل كامل، وبعد ذلك يبدؤون فى الغوص أو الانهيار. يغوصون إلى الحد الذى يجعلهم يُدفنون بشكل كامل. بالطبع فإن الفرصة موجودة أيضًا من أجل هؤلاء الناس؛ لكنهم مضطرون أن يقضوا مدة كى يوصِّلوا أنفسهم من الأعماق إلى السطح؛ فالحياة هى: مواجهة الإنسان الأبدية لهذه الاختيارات".

يُشبِّك "مهرداد" أصابع يديه ويُطْرِق مفكرًا فى على رضا.

يستكمل على رضا حديثه قائلاً: "لحسن الحظ أن تشخيص الأفضل دائمًا ما يكون سهلاً على الرغم من أن إنجازه ليس بهذا القدر من البساطة. مع كل سلوك بسيط وأفضل، يصبح الإنسان قد خطا

خطوة معقدة، هكذا يبدو أن هذه السلوكيات البسيطة والواضحة التى يستطيع أى شخص أن يحددها بكل سهولة هى مثل الأحجار التى توجد فى نهاية بناء كبير ومعقد. الموضوع الوحيد المهم هو أن صفوف الطوب السفلى إن لم تكن بصورة صحيحة؛ فإنه لا يمكن وضع الصفوف العليا. أعنى أن كل شخص يعرف في كل موقف أن العمل الذى ينجزه جيد أو ليس بالجيد. والشخص الذى يصبح متمرسًا على إتمام الأعمال الجيدة فإنه يشعر رويدًا رويدًا حتى بوزن الأعمال الجيدة، أعنى أنه يستطيع أن يعرف من بين بضعة أعمال جيدة أفضلها. والشخص الذى ينجز الأعمال الجيدة فقط يتبدل تدريجيًا إلى واحد من أعمدة مؤسسات الوجود. أعنى أنه يستطيع فى أى نقطة يقف فيها أن يجعل الوجود تحت أمره وسيطرته. مثل هذا الشخص لو يريد، يستطيع أن يدرك ليس فقط صوت الصراصير؛ بل إنه يمكن أن يشعر حتى بما تتخيله. حتى أنه يستطيع فى مستويات أعلى أن يمنع غروب الشمس أو أن يقسم القمر إلى نصفين. مثل هذه المقدرة ليست بالطبع باعثًا للفخر؛ لأن هذا هو أصغر عمل قد ينتج من مثل هؤلاء الأشخاص. مثل هؤلاء الأشخاص يستطيعون أن يقدموا الشفاء لمريض من هذا الجانب من الدنيا. منطق هذه العلاقات هو أن مثل هؤلاء الأشخاص لديهم مقدرة لا حدود لها من أجل ذلك؛ فإن إتمام مثل هذه الأعمال هو أمر بسيط جدًا".

ألصق على رضا يديه بحافة الطاولة، وقد أضاء وجهه بحمرة شديدة وأمسك بالطاولة وكأنه إعصار يريد أن يحملها معه؛ لكنه احتفظ بها.

- "على أى حال فإن كل هذا ليس سوى مجموعة من التصرفات والسلوكيات. فالوزن المعنوى لأى شخص هو مجموع وزن سلوكياته. وكما يبدو فإن أى اختيار مثل خط نرسمه على صفحة وجودنا البيضاء. فكثير من الناس ممن يمكن وصف اختياراتهم بغير الجيدة ينتجون مجموعة من الخطوط المعوجة والمنحنية فى فترة حياتهم، والتى ليس لها أى معنى واضح. لكن أولئك الذين تكون اختياراتهم صحيحة وسليمة فتأتى سلوكياتهم فى خطوط متوازنة، وذات معنى فهى شيء شبيه بلوحة رسم".

حينما نتناول العشاء لا يتحدث أى شخص. بعد العشاء يشعل مهرداد سيجارة ويسأل عليًا: "هل تعرف شخصًا يمكن أن يصل إلى هذه الدرجة من اللاحدود ويقبل ضمنيًا أن يشفى امرأة مريضة فى هذا الجانب من الدنيا، فى فلوريدا بأمريكا؟".

ينظر على رضا إلىّ للحظة؛ فأهز رأسى مؤيدًا كلامه.

يقول: "أعرف". يسكت قليلاً، وبعد ذلك يستمر فى الكلام قائلاً: "ولكن ليس قبوله فقط كافيًا. ففى مثل هذه المواقف يجب أن تؤمنوا بهذه اللاحدود ويمثل هذه المقدرة. أعنى أن الله يوجد بالنسبة لأى شخص بقدر إيمانه به. وأن هذه علاقة ذات طرفين. فإله البعض لا يستطيع حتى أن يوفر عملاً بسيطًا لمن يؤمن به أو أن يشفى من زكام بسيط؛ لأن من يؤمن بمثل هذا المقدار. فإله ذلك الراعى الذى كان يجاور موسى ليس

بالطبع كإله موسى وإبراهيم، وإله إبراهيم الذى يذهب إلى النار من شدة إيمانه أو يسحب السكين على رقبة ابنه؛ فهو بالطبع أعظم وأقوى من إله ذلك الراعى، ولو أن إبراهيم كان محتاجًا من أجل تكميل إيمانه إلى معجزة إعادة القيامة فوق الأرض، أو أن موسى كان محتاجًا لتجلى الله على جبل الطور، فإن الإمام على (ع) لم يشك لحظة فى مقدرة واقتدار إلهه، وكان دائما يقول إنه لو رفعت الحجب فلن يزيد ذلك على إيمانه ذرة. فإله على (ع) بلا شك هو أعظم إله يمكن أن يوجد. نحن لو نستطيع أن نمسك بطرف ذيل ثوب على (ع) لنجينا، لكن بالنسبة للشخص الذى ليس لديه إيمان فللأسف إن الله أيضًا ليس موجودا بالنسبة له".

يطفئ مهرداد سيجارته فى المنفضة وبعد ذلك يأخذ زجاجة البيبسى الخالية ويفرغ الدخان الذى كان قد احتفظ به فى فمه فى الزجاجة. دخان السيجارة يلف ويدور داخل الزجاجة ويتجه نحو قاعها. يحملق على فى آخر المطعم وفى الكراسى والترابيزات الخالية.

يأتى الجارسون نحو طاولتنا؛ ليأخذ الأطباق الفارغة. نتوقف جميعًا عن الكلام.

يضع مهرداد سجائره فى جيب قميصه. أنظر إلى زجاجة البيبسى التى يخرج الدخان بهدوء من فوهتها. لازال على ممسكًا بطرف الطاولة بشدة ولا يتحرك. يرفع الجارسون الأطباق الخالية من على الطاولة

ويجمعها بدقة فى الصينية. بعد ذلك يضع زجاجات البيبسى واحدة تلو الأخرى فى الصينية، لكن حينما تذهب يده نحو الزجاجة المملؤة بالدخان، فجأة يسحب يده للحظة دون قصد، لكن بعد ذلك يرفع الزجاجة مرة أخرى ويضعها فى الصينية.

## ( ١٨ )

في الصباح أتصل من داخل المطار بوالدة الدكتور محسن بارسا، وأقول لها إنه من المقرر أن يأتي أحد أصدقائي إليها من أجل البحث وجمع معلومات من داخل كمبيوتر دكتور "بارسا".

أتصل أيضًا بسايه وأقول لها إنها ستكون ضيفتي على عشاء شاعري بعد عودتي من أصفهان. تسأل هل طرحت على علي رضا سؤالها بالأمس؟ تعني موسى ونعليه والوادي المقدس ومثل هذه الأشياء. أنظر إلى إعلان الكمبيوتر لشركة منتجة للمنظفات يذاع في نهاية صالون الانتظار وأقول: "بالطبع سألت علي رضا. قال إنه قرأ في أحد الكتب أن القصد من النعلين هو تحرر موسى من عشق زوجته بشكل خاص ومن العشق الدنيوي بمعناه العام".

يبدو أن سايه قد اقتنعت. لكن بالنسبة لي، فليس للموضوع أي أهمية. أذهب إلى ركن خالٍ من الصالون، وأخرج المذكرات اليومية لبارسا من داخل حقيبتي وأتصفحها.

السبت/الثاني عشر من شهر دي ماه عام ٧١ هـ.ش[٢٩].

---

(٢٩) يناير عام ١٩٩٣م.

"اليوم أكملت الفصل الرابع لكتاب "التحليل الرياضى للمفاهيم الإنسانية". ولو أننى أعمل بنفس هذه السرعة فمن المحتمل أن ينتهى الكتاب بعد ثمانية أشهر أخرى. هدفى فى هذا الكتاب هو أن أشير إلى أن المفاهيم الإنسانية يمكن أن تقاس وتكون ذات معنى مثل الكميّة الفيزيائية.

فى الواقع إننى أسعى فى هذا الأثر أن أربط بين العلوم الفلسفية، والعلوم التجريبية، والعلوم الإنسانية وأن أمزجها ببعضها البعض".

الأربعاء/ ٥ يناير(٣٠).

"إننى راضٍ عن عملى فى هذا الفصل الدراسى؛ فلدى طلاب مجتهدون، خاصة فى صف الكوانتم، حيث إنهم جميعاً مهتمون بمباحث الفيزياء الجديدة".

رويداً رويداً يزداد فاصل تاريخ المذكرات اليومية.

الخميس/ ٢١ يناير(٣١).

"هذه الأيام كلها إجازات!

إجازة نهاية الفصل الدراسى، إجازة بداية الفصل الدراسى، إجازة تلو الأخرى، إجازات لا جدوى منها!

---

(٣٠) شانزده دى ماه.

(٣١) يكم بهمن ماه.

هذه الأيام ليس لدى طاقة للعمل فى كتابى. من المحتمل ألا يتم الكتاب فى التاريخ الذى توقعته".

يُعلن فى مكبر الصوت أن يتجه ركاب طائرة أصفهان للبوابة رقم أربعة للصعود إلى الطائرة.

تمر بضع ساعات حتى أجد شهره بنيادى عن طريق إدارة شئون التعليم بالجامعة.

أتمشى فى الطرقة التى فيها قاعة محاضراتها حتى تنتهى المحاضرة. حينما تنتهى المحاضرة أسأل عنها أحد زملائها فى المحاضرة؛ فتشير إلى فتاة نحيفة شاحبة، تحمل فى يدها كتاباً وتتحدث مع بضع فتيات أخرى فى نهاية قاعة المحاضرات.وبمجرد ما تصير بمفردها أتقدم نحوها:

- "السيدة بنيادى؟"

- "من حضرتك؟"

- "اسمى يونس فردوس". فى الحقيقة إننى جئت من طهران إلى هنا؛ لأكمل رسالتى. لدى فقط عدة أسئلة".

تتعجب قليلاً وبعد ذلك تقول: " تسألنى أنا؟ أية أسئلة؟".

- "بحثى حول دكتور محسن بارسا".

حينما تسمع اسم بارسا يظهر عليها القلق بوضوح، وتضع الكتاب الذى كان بيديها فى حقيبتها وتستعد للذهاب.

- "من فضلك، أنا أحب أن أذهب إلى المنزل. اليوم أنا متعجلة قليلا".

- "أرجوك فقط بضع دقائق. لن آخذ من وقتك الكثير. فقط بضعة أسئلة".

- "انظر حضرتك، أنا لا أحب مطلقًا أن أتحدث فى هذا الموضوع".

يأتى صوت ضجيج الطلاب من الخارج، ولم يبقَ فى قاعة المحاضرات شخصٌ سوانا أنا وهى.

- "بالطبع... بالطبع لديك الاختيار، لكن أنا لست صحفيًا ولا محقق محكمة. أنا، نوعًا ما، طالب مثلك وشغّال فى رسالتى للدكتوراه فقط".

- "قلت إننى لا أريد أن أتحدث حول هذا الموضوع".

- "بالطبع أنا لا أستطيع أن أجبرك أن تقومى بعمل لا ترغبين فى القيام به، لكن أكيد أنك أيضًا تدركين ظروفى. أنا أيضًا طالب مثلك ولو تريدين الحقيقة، أنا نادم على أننى قد وضعت موضوع أطروحتى فى تحليل علم الاجتماع حول هذه القضية اللعينة، لكن لم يعد لدى وقت لتغيير الموضوع. أنا فى الواقع لا أدرى ماذا أفعل. أنا أشعر أننى أمام شخص أراه لأول مرة وأترجاه بخصوص موضوع ليس له أدنى أهمية شخصية بالنسبة لى. إننى أشعر بالحرج من هذا الموقف الذى وضعت فيه.

تنظر شهره بنيادى من النافذة إلى الخارج. تجمعت السحب فى السماء وأظلمت الدنيا قبل الغروب.

- " لقد تم التحقيق بشكل كافٍ بشأن بارسا من جانب السلطات القضائية. أعتقد أن الاطلاع على ملفه القضائى سيساعدك كثيراً".

-" لقد قرأت الملف ولكن لم أجد فيه شيئاً مهماً. أنا أبحث عن الدوافع الاجتماعية لهذا الانتحار".

تجلس على أحد مقاعد قاعة المحاضرات، وتقول: "كنت أعتقد أننى حينما آتى من طهران إلى هنا؛ سأنتهى من هذا الموضوع اللعين، لكن....".

تسكت وتضغط على جنبات جبينها بيديها من فوق الإيشارب.

- "لكن ماذا يا سيدة بينادى؟ أنا تحدثت مع جميع طلاب الدكتور...".

تقطع كلامى وتسأل بلهفة: "مع كل الطلاب؟ حتى مهتاب كرانه؟".

- "مع السيدة كرانه لا، لكننى تحدثت مع البقية. السيدة كرانه حذفت هذا الفصل الدراسى ولكن بمجرد عودتى إلى طهران فسوف أتحدث معها أيضاً. أتعرف السيدة "كرانه "شيئاً؟".

تمسح دموعها وتستمر قائلة: "كل هذا تقصيرى أنا. فلم يكن ينبغى أن أتدخل فى هذه الأمور. منذ عامين جاءت مهتاب كرانه من أمريكا مع والدها ووالدتها إلى إيران. والدتها طبيبة أسنان من أطلانطا،

ووالدها يعمل فى مجال تجارة السجاد والتصدير ومثل هذه الأشياء. وكنا قد قُبلنا معًا فى شعبة الفيزياء. وأنا كنت صديقة مهتاب الوحيدة".

- "هل أنت الآن لست بصديقتها؟".

- "نعم صديقتها، لكن....".

مرة أخرى تضيق ذرعًا. أسألها: "أترغبين أن نذهب إلى الخارج؟".

- "نعم".

نترجل فى الشوارع بلا هدف. أقول: "بالأمس كنت فى منزل دكتور بارسا، وقد أحضرت معى دفتر مذكراته اليومية. ألا تريدين أن تلقى نظرة عليها؟".

- "لا. لا أستطيع".

- "ألا تريدين أن نتحدث بشأن مهتاب؟".

- "لا. بالفعل لا".

صار الجو باردًا وأحيانًا تبرق السحب فى الأفق، وبعدها بقليل يدوّى فى المدينة صوت رعدها. أرفع ياقة معطفى وأسأل: "فى اليوم الأخير الذى جاء فيه بارسا إلى المحاضرة، أقصد يوم الأربعاء السابع عشر من شهر أكتوبر[٣٢]، ألم تلاحظى شيئًا خاصًا فى سلوكه؟".

(٣٢) ٩ أكتوبر.

- "لا، الدكتور بارسا كان قـويًا ووقـوراً. ولم يبـدِ فى أى وقـت أى شىء قط".

تقف "شهره بنيادى" على الرصيف فجأة تحت لوحة مضيئة بالنيون، كانت تضىء وتنطفئ وتقول: "جيد جداً! الدكتور بارسا صار عاشقًا. عاشقًا لمهتاب. لكنه لم يستطع أو ربما لم يعرف كيف ينبغى أن يقول هذا لمهتاب. مهتاب أيضًا كانت هادئة ومنطقية جداً. ذات مرة وضع الدكتور لنا امتحانا وكانت مهتاب قد حصلت على أعلى نمرة في هذا الدرس؛ فكتب بارسا أسفل ورقتها: إننى مسرور جـداً، وسعيد لذلك. فى البداية كلما كان الدكتور بارسا يبدى اهتمامه أكثر؛ كان اعتناء مهتاب يقل. كنت أظن أن مهتاب لم يكن لديها عاطفة تجاه بارسا، أو لو كانت أيضًا موجودة فهى قليلة جداً. لكن بعد مدة مهتاب أيضًا صارت عاشقة لبارسا".

نعبر شارع چهار باغ(٢٣)، وأسألها ونحن فى وسط الشارع قائلاً: "هل كانا أيضًا يتقابلان بمفردهما؟".

- "نعم. مرة واحـدة. تلك المـرة أيضًا كـانت بإلحاح منى. لأجل ذلك فإننى أعتبر نفسى أيضًا مقصرة. دكتور بارسا كان يقول لمهتاب إنه يشعر بأنه يحبها، كان يقول إن هذا الإحسـاس جـديد فى حياته.

---

(٢٣) البساتين الأربعة.

قال لمهتاب إنه على الرغم من أن هذه أول مرة يحب فيها شخصًا إلى هذه الدرجة، لكنه يعتقد أن إحساسه ليس له علاقة بالعشق ومثل هذا النوع من التفاهات.

في الحقيقة أنا لم أفهم شيئًا من كلام بارسا.

كيف أُحَبَ شخصًا دون أن يكون عاشقًا له؟

مثلاً بارسا كان يقول لمهتاب إنه يحب سماع صوتها. كان يقول: "حينما تتحدث مهتاب أستمع إلى صوتها وليس إلى كلامها". كان يقول إنه يحب أن يسمع صوت مهتاب لساعات متواصلة. وأصلاً لا يهمه ما يحويه صوتها من كلمات، حتى أنه كان يقول إنه مستعد أن تقول له مهتاب ألف مرة: "اغرب عن وجهي! كي يستطيع أن يسمع بلذة تامة آلاف المرات لأصوات "ا" "غ" "ر" "ب" "ع" بطنين وصوت ولحن وطريقة تكلم مهتاب.

الشيء الوحيد الذي أستطيع أن أقوله هو أن عشق بارسا لمهتاب كان عشقًا عجيبًا.

مثلاً قالت لي مهتاب يومًا ما إن الدكتور بارسا قال لها تليفونيًا إنه يفضل النظر إليها عدة ساعات بدلاً من أن يلمس يديها. قال لها إنه قد ارتبطت روحه بروحها بشكل عجيب، لدرجة أنه لا يمكن أن تفترق روحاهما. قال لها إنه يحبها إلى ذلك القدر الذي يجعله لا يرغب في الزواج منها. أشياء أخرى أيضًا قالها لمهتاب أو كتبها لها لكن

مهتاب كانت تخفيها عني. فقط مرة واحدة أعطتني فيها مهتاب واحدة من مكاتبات ورسائل بارسا وهي ما زالت معي. أتريد أن تقرأها؟".

- "بالطبع. بالطبع".

تُنزل السيدة بنيادي حقيبتها من على كتفها وتخرج منها ورقة مطوية. وتعطيني الورقة في يدي وأنا أمشي بين آلاف الناس الذين ينظرون إلى فاترينات المحلات المضيئة والشارع، أقرأ رسالة بارسا لمهتاب:

*"ليتني كنت قطعة من صخر، قطعة من خشب، حفنة من تراب. ليتني كنت عامل نظافة، خبَّازا، خيَّاطا، بائعا متجولا، طبيبًا، وزيرًا، مَلمِّع أحذية على جانب الطريق. ليتني كنت شخصًا لا تعرفينه، ليت قلبي قُدّ من صخر، ليتني أصلاً ما كان لي قلب، ليتني لم أكن أصلاً، ليتك لم تكوني، ليت من الممكن أن يُمحى كل شيء بمساحة السبورة. آه يا مهتاب! ليتني كنت حجرا من أحجار بيتك، أو حفنة تراب من حديقتك، ليتني كنت مقبض باب غرفتك كي تلمسيني يوميًا ألف مرة، ليتني كنت عباءتك، لا ليتني كنت يديك، ليتني كنت رئتك كي تُدخلي وتخرجي أنفاسك مني، ليتني كنت أنا أنت. ليتك كنت أنت أنا، ليتنا كنا شخصًا واحدا، شخصا من اثنين!".*

حينما أُنهي قراءة الرسالة أشعر أن شخصًا قد ألقى بروحي من فوق حافة سقف مبنى مكوّن من ألف طابق إلى أسفل. وملأ كل وجودي بألم عجيب.

بعد ذلك حدث ذلك الحادث المفزع، مرضت مهتاب ووقعت في المنزل وبعد ذلك اختل توازنها.

حينما نصل إلى الميدان الكبير الذي ينتهي عنده شارع چهار باغ، تبدأ الأمطار في الهطول. أعطيها الرسالة قائلاً: "ماذا تقصدين بأنها فقدت توازنها؟".

تضع الورقة في حقيبتها وتقول:

وفاة بارسا أثرت عليها تأثيرًا سيئًا، أعتقد أنها متعبة من الماضي، أو لأنها لا تستطيع أن تنسى؛ لأنها عشقت بالفعل بروحها وكيانها بارسا. فهي لا تستطيع أن تنسى ماضيها. ودائما ما تُبْتلى بكوابيس. أنا أيضًا ساءت حالتي النفسية بعد هذا الحادث وأتيت إلى أصفهان بتوصية من الطبيب النفسي؛ كي أبتعد عن مهتاب ومحيط وبيئة الجامعة والأشياء التي تُذكِّر ببارسا. اتصلت بها مرة واحدة، حيث بدأت مهتاب بالحديث وسط كلامها باللغة الإنجليزية لا إراديًا؛ فهي كلما انفعلت تحدثت بلغتها الأم؛ فهذا يكون أسهل وأفضل بالنسبة لها.

اشتد سقوط الأمطار وابتلَّت ملابسنا تمامًا..

أشكر "شهره بنيادي" وأقول لها إنني لن أنسى مساعدتها مطلقًا. وفي الواقع أنني أيضًا لن أنسى. أودِّعها وأتجه نحو الفندق. وقد فتح المارة على الرصيف شمسياتهم، وفجأة تفتح آلاف الشمسيات السوداء

فوق رؤوس الناس، وقد لاذ بعضهم اثنين اثنين تحت شمسية واحدة.
أضع يدىَّ فى جيبى سترتى، وأسير تحت الأمطار دون أن أفكر فى المرض والأنفلونزا ومثل هذه الأشياء وأتنفس نفسًا عميقًا، بمجرد خروجه أدرك أن محتواه ليس له أية أهمية.

## ( ١٩ )

حينما أصل إلى طهران أذهب مباشرة إلى مؤسسة الأبحاث وأتصل من هناك بمهرداد.

تقول والدته إن مهرداد قد ذهب مع على رضا إلى مكان ما أسمعه خطأ "مسلخ" ولهذا السبب أسأل متعجبًا: "مسلخ!".

تقول: "مشهد! ذهب مع على رضا إلى مدينة مشهد؛ لزيارة مرقد الإمام على الرضا".

كان كلامها هذا عجيبا بالنسبة لى، بحيث إنها لو قالت إنهما ذهبا إلى جزر هاواى كنت سأصدق ذلك أكثر. أنهى المكالمة وأتصل بسايه. سايه تقول إن على رضا قد طبع عدة ملفات من كمبيوتر بارسا، ووضعها فى ظرف وأعطاها لها كى توصِّلها إلىَّ. أقول لسايه إننى اقتربت من الوصول إلى نهاية هذه الرسالة. أقول بأننا ربما نتزوج بعد شهر وربما أنجو من هذه الحيرة.

تقول باحتيال: "بالفعل؟ هل فعلاً ستجد النجاة؟".

أنظر إلى صورة سايه التى كنت قد وضعتها تحت زجاج مكتبى وأطلب منها أن تضع أصابعها على السماعة وحينما تفعل ذلك أقبِّل السماعة؛ أقبل يديها من خلال السماعة".

أقول: "شكرًا، كانت قبلة جيدة، كانت جيدة جدًا".

- "أأصبحت رومانسيًا؟".

- "أحبك يا سايه. أحبك جدًا".

- " أنا راضية. من كل هذه الدنيا الكبيرة أنا راضية بهذا فقط. حتى ولو لم نتزوج أبدًا؛ لكننى راضية بحبك لى. أنا راضية بحبك".

أقول: "لماذا؟ لماذا تقولين لى هذا الكلام؟ لماذا تعتقدين أنه من الممكن ألا نتزوج؟ أقال والدك شيئًا؟".

- "هذا ليس له علاقة بوالدى؛ لكننى أشعر أن قدرة الله أكبر من رغبة أبى وأمى وحتى أكبر من رغبتنا نحن. فقد قال الله لموسى: "إننى أضحك فى موقفين: حينما أريد أن يتم أمر ما وأرى سعى الآخرين؛ ليمنعوا إتمام ذلك الأمر، وحينما لا أريد أن يتم أمر ما وأرى جماعة يسعون ويكدون لإتمام هذا الأمر".

خفت قليلاً وتوترت. أحاول أن أتحكم فى نفسى.

أسأل: "هل حدث شىء".

بالفعل لو هناك شيء أريد أن أسمعه أيضًا الآن. حتى لو غيرتِ رأيك في وفي مستقبلك معي. أريد أن أسمع ذلك الآن.

أضع سماعة التليفون في يدي الأخرى، وأنتظر فلا تقول سايه شيئًا.

- "سايه! هل مازلت معي على الخط؟".

- " لم يحدث لي شيء قط؛ لكن أتمنى ألا يحدث لك شيء أيضاً".

أَلُّف سلك التليفون بين أصابعي: "أنا لا أزال أحبك، كسابق عهدنا".

- "أنا أيضًا أحبك؛ لكنني قلقة فقط بعض الشيء".

- "مما أنت قلقة ؟ سايه، ما مشكلتك؟".

- "أنا آسفة. بالفعل أنا آسفة. في بعض الأحيان لا يمكن بأي شكل محو الله من الحياة. يمكن أن يُنسى لفترة ما لكن لا يمكن اجتنابه على الدوام. إلى حد ما هذا الأمر بالنسبة لي يعني اجتناب الحياة نفسها. وحينما تضع الحياة جانبًا فلابد أنك قد سقطت في الموت. أنت لا توافقني الرأي. أليس كذلك؟".

- "أنا لن أجبركِ على شيء".

- " أنا أيضًا لا أستطيع أن أعيش مع ميت. يونس لو محوت الله من حياتك؛ فأنت في رأيي لا تختلف كثيرًا عن إنسان ميت. حسنا، أنا أفكر بهذا الشكل أو الأفضل أن أقول إنني أفترض أن الله هو منشئ

وأساس الحياة، ولو انفصل شخص ما عن هذا المنبع فليس فيه ذرة من الحياة".

أضع السماعة بشدة فى مكانها. تهتز أصابعى من الغضب، لا أريد أن أسمع كلمة أخرى. أشعر أن سايه تُدخِل بلا سبب الموضوعات السماوية فى علاقتها الاجتماعية. فهى من هذه الناحية أكثر شبهًا بعلى رضا من أى شخص آخر.

أنا لا أرغب مطلقًا أو لا أستطيع أن أنظر للأشياء بهذه الطريقة.

أخرج من درج مكتبى عنوان مهتاب كرانه، وعندما أريد أن أخرج من الغرفة يرن جرس التليفون. أنظر إلى التليفون مثل شخص قد رأى ماردًا؛ لكنى لم أستطع أن أرفع السماعة. يرن جرس التليفون بضع مرات وبعد ذلك ينقطع صوته. أجلس على المقعد وأطرق برأسى.

يضرب جرس التليفون مرة أخرى وأرفع هذه المرة السماعة بسرعة. نفس الفتاة التى كنت أعتقد أنها طلبت رقمًا خاطئًا.

هذه المرة تتحدث بالفارسية لكنها تبدو وكأنها تتحدث بشأن بارسا. وكما يبدو فإنها يجب أن تكون مهتاب كرانه. لا بد أنها قرأت الموضوع فى الصحيفة، وأنها قد اتصلت بى هذه المرات كى تُظهر الحقيقة. هذه الحقيقة التى كما يبدو أنه حتى الحديث عنها هو أيضًا أمر صعب بالنسبة لها.

ألصقت سماعة الهاتف بأذني وأنصت. أدقق في كلامها؛ على الرغم من أنني لم أدقق في كلامها كما كان يفعل بارسا؛ لكنني كنت أنصت إلى كلامها بمنتهى الدقة:

"سعى كثيرًا أن يفهم كل شيء، لكنه لم يستطع. سعى أن يقيس كل شيء بواسطة الفيزياء والرياضيات وحتى الفلسفة، لكن فجأة أدرك أن في الوجود أشياء لا يمكن قياسها أو فهمها بأدواته ووسائله. ثم احتار وغرق. بعد ذلك شطب على حساباته وبدأ من جديد؛ فقد جمع كل الأجزاء لكنه أحسَّ أن شيئًا ناقصًا بينها. وكانت معادلاته تظل نصف تامة. فيحتار مرة أخرى، ثم يغرق. فقد بحث في الطبيعة، والمعامل والمكتبات لكنه لم يفهم. كان يريد أن يرجع لكنه لم يستطع؛ فقد دخل طريقًا مثل اللغز، كان معقدًا أو غير واضح. كان يريد أن يتقدم لكنه لم يستطع؛ فالطريق الذي كان ذاهبًا فيه كان طريقًا مسدودًا. ثم تعب وضاق صدره، اهتز وغاص أكثر. كانت الفرصة تنتهي وهو يذهب في طريق مظلم ويعود. كان يذهب ويغوص، كان يعود ويغوص أكثر. فجأة فقد كل ما كان قد وجده. وازدادت الأسئلة أكثر وأكثر، وكثرت الألغاز أكثر وأكثر وأظلم ذهنه. انطفأ مصباح روحه وخيمت الظلمة على روحه. صار أعمى، وأفلت رأس الخيط من يده، ثم غاص أكثر، وبدلاً من أن يحل الأمر أو المشكلة، تحول هو نفسه إلى سؤال صعب ومعقد، كان يجب أن يحله أو يجيبه شخص ما.

فجأة وجدته. قال إننى قد جاوبته أو فككت طلاسمه. قال إننى إجابة جميع الأسئلة الصعبة. حينما علم ما الجواب؛ ألقى بأدواته بعيداً وهرب منها. لكن لم يكن هذا كافيًا؛ فكان يجب أن يستمر فى الهرب. كان يجب أن يبتعد. كان يجب أن يبتعد جداً عن نفسه. كان يجب أن يكذِّب نفسه لكنه لم يستطع. ثم غاص أكثر. الصخرة التى كان قد حملها ثقيلة جدا؛ فانكسر ميزانه واختل نظامه؛ فاضطرب من عدم النظام ودار حول نفسه حتى تحرر لكنه غاص أكثر، وصار غير مستقر. صعد لأعلى. صعد لأعلى وأعلى. لكن لم يكن كافيًا. ذهب إلى مثل هذا الارتفاع حتى صار غير ظاهر، لكن هذا أيضًا لم يكن كافيًا. ثم غاص فى نفسه. صار أصغر وأصغر وسقط من ذلك الارتفاع ثم ضاع".

تبكى "مهتاب" وتضع السماعة. أخرج من مبنى مؤسسة الأبحاث. أجلس فى السيارة وأذهب فى اتجاه منزل مهتاب. يثير كلام سايه ومهتاب ضجة وجلبة فى رأسى. أركن السيارة وأذهب تجاه شقة مهتاب كرانه. الآن أصبحت تقريبًا متأكداً من أن انتحار بارسا ليس له أدنى سبب بعلم الاجتماع. وعندما أفكر فى أن بارسا لم يكن لديه دافع اجتماعى فى قراره بالانتحار أكاد أجن من اليأس؛ فمعنى هذا الكلام أننى لن أناقش رسالتى.

الآن أنا أمام مبنى مكون من خمسة عشر طابقا، تسكن مهتاب كرانه فى الطابق الثامن منه. لا أريد مطلقًا أن أؤذيها بالحديث وبتذكيرها بهذا الانتحار اللعين. فماذا أُبقى للحديث؟

على الرغم من أنى لم أفهم شيئا من كلامها، لكن أظن أنها قالت كل كلامها فى التليفون. أنظر لدقيقة إلى نافذة الطابق الثامن للمبنى وبعد ذلك أتجه نحو السيارة. الشوارع معروفة لى بشكل عجيب فالشوارع ليست غريبة عليَّ. فجأة تقع عينى على المبنى المقابل لشقة مهتاب؛ فأتعجب بشدة. تلمع فى الشمس لوحة مكتب بيع المصنع المنتج للمبيدات الحشرية المنزلية فوق تراس الطابق الثامن لمبنى نكَين آبى(٣٤).

---

(٣٤) العقيق الأزرق.

## ( ٢٠ )

في الصباح أذهب إلى بيت سايه لآخذ ظرف مذكرات بارسا. حينما تفتح باب الشقة تتعجب لرؤيتي. لا تدعوني للدخول، أقول إنني قد جئت لآخذ مذكرات بارسا. تذهب إلى داخل الشقة وتعود بعد دقيقة وفي يدها ظرف كبير. تعطيني الظرف في يدي مثل الأغراب وتنتظر أن أغرب عن وجهها. أريد أن أتحدث، لكن كلما بحثت عن الكلمات لا أجد شيئًا في ذهني.

تقول: "انتظرتك لسنوات طويلة. كنت دائمًا ما أنظر من الشباك حتى تأتي. كنت أجيب على التليفون لعلّي أَمَلُّ سماع صوتك. وحينما كان يدق جرس الباب كنت أفتح الباب لعلي أَمَلُّ أن أراك. أنا أيضًا مثل أي فتاة أخرى أتمنى أن أصبح سعيدة الحظ معك، لكن الحب يختلف عن حسن الحظ. يونس، لو وضعت الله جانبًا بمعزل عنا، فإنك وضعت كلينا جانبًا. أنا إما أن أُضحي بالله من أجلك، أو أن أترك عشقك من أجله. يونس أنا سأختار الطريق الثاني".

تسحب عباءتها على وجهها وتقول بصوت مختنق: "هذا أصعب عمل يمكن أن يقوم به شخص في كل حياته. آه يا يونس، قتل عشق

بسبب عشق آخر صعب جداً. لماذا أوصلتنى إلى هذا؟ يونس، أنت لم يكن لديك الحق أن تفعل بى هذا. لم يكن لديك الحق أن تعشقنى وبعد ذلك تفسد كل شىء. يونس لم يكن لديك الحق أن تشك فى من عرفنا ببعض، وأوصلنا إلى بعض. يونس، أنت ركلت كل شىء بقدميك. أنا لا يعنينى آلهة الآخرين، لكن أنت ليس لديك الحق فى أن تشك هكذا بلا رحمة فى إلهى وإلهك. حينما تعرفت عليك كنت دائمًا بعد الصلاة أخاطب الله قائلة إنه أفضل إله يمكن أن يكون له وجود. يونس! لا تقل إنك لم تنكر الجميل. لا تقل إن هذه الأشياء خرافات. أنت أكثر شخص يعرف أنه لولا إرادة الله، لرفض أبى زواجنا حتى الآن مائة مرة. آه يا يونس كيف طاوعك قلبك أن تفعل هذا مع الله؟ ما فعلته لا يفعله إنسان مع خادم منزله يا يونس".

الآن تنهمك فى البكاء. وقفت ساكنًا وتمنيت أن تُخرج كل ما قد جُمع فى قلبها.

تقول: "أنت نفسك قلت إنك ذات ليلة رأيت فى المنام أنك قد ذهبت أنت ومونس إلى الوادى وهناك سمعتما صوت الله يقول: "عمّا تبحثان؟"، وأنت قلت: "نبحث عنك. إننا نبحث عنك". بعد ذلك أجابك الصوت: "لكى تجدنى لم تكن بحاجة أن تأتى كل هذا الطريق فى الوادى والصحراء". كان يقول: "إننى على مائدتكم الخالية. فى تجاعيد وجه عزيز. فى كحة الجدة. فى تجاعيد جبين الجد. فى نواح المرأة التى تضع حملها. فى تشققات أيادى التعساء والفقراء. فى أمنيات الفتيات الفقيرات

اللواتى يتمنين أن يأتى شخص بجواد أبيض ذى جناح ليخلصهن من نكبة الفقر الذى يعشنه. فى النظارات سميكة العدسة للآباء اليائسين الذين يحملون طفلهم المريض من هذا الطبيب إلى ذاك الطبيب وجيوبهم خالية. فى قلب ولدين بمدرسة ابتدائى يتضاربان معًا فى الشارع على أستيكة قلم رصاص. فى قلب رجل يجب أن يعود ليلاً إلى المنزل بجيب خالٍ لكنه يخجل من زوجته وأطفاله. فى قلب زوجة ذلك الميكانيكى التى تحب أن يعود زوجها من العمل كل ليلة إلى المنزل، ويديه مسودة من العمل والزيت وزيت التشحيم؛ مما يعنى أن ذلك اليوم كان فيه عمل وأن زوجها حصل على نقود، ولهذا فهى تنظر أولاً إلى يدى زوجها لترى أهى سوداء أم لا؟ فى قلب ذلك الزوج الذى لو لم تكن يداه سوداء يذهب صامتا إلى أحد أركان الغرفة؛ كى ينام جائعًا، لكن صوت زوجته التى تقول لأطفالها: "ربنا كبير، ربنا كبير"، لا يدعه ينام مرتاحًا. فى أفكار الفيلسوف المسكين الذى يريد أن يثبت وجودى لكنه لا يستطيع. فى الصلوات الطويلة، لذلك العابد الذى ليس لديه استعداد أن يستبدل بخلوته الليلية الدنيا بأسرها. فى العيون الحمراء لشخص يضرب على وجهه بالكف ظلمًا لكنه يخجل أن يبكى. فى ذلك الحزن العميق الذى يشعر به والد حملوا إليه جثمان ولده من جبهة القتال غارقًا فى دمائه؛ فوقف متحجرًا ينظر إلى عين ولده وعينيه تفيضان دمعًا. فى لسان طفل عمره ستة أشهر قد جف من العطش وبدلاً من أن يسقوه يطلقون الرصاص على حنجرته. فى خجل والد ذلك الطفل الذى يخجل من أن يعيد طفله

إلى أمه بحنجرته الممزقة. فى التراب الذى يلقى على الشهيد. فى دموع طفل يبكى لأول مرة من ألم غياب الأب، وهو لا يستطيع حتى أن يفهم معنى اليتم. فى وحدة البشر. عجبا لك، فى إلهى ماذا أفعل؟ فى فرح ليلة العيد. فى سعادة العرسان. فى الحزن الدائم للأرامل. فى لعب الأطفال. فى الصداقة. فى الصفاء. فى الطهارة. فى التوبة. فى التوبة المكررة التى دائمًا ما يعود المذنب فيها إلى ذنبه. فى الندم من الذنب. فى العودة إلَيَّ. فى القول: "أخطأت". فى قولى: "لن تتكرر مرة أخرى". فى: "أعد بأننى سأكون طفلاً حسنًا". فى: "إننى أحبك". فى الناس الذين أصبحوا أنفسهم جنة. فى على (ع) (كرم الله وجهه) الذى هو جنة متحركة. وأيضًا مرة أخرى فى على. فى صلاة على. فى دموع على. فى أحزان على. فى شفاه مونس التى تُقبِّل قرص[٣٥] الصلاة يوميًا ثلاث مرات. فى يدى سايه اللتين كل صباح تفتحان المصحف الذى اشتريته من أجلها. فى قلبك المزدحم. فى جميع معارفك الشاردة. فى سعيك. فى شكك. فى رغبتك. فى عشقك لسايه..".

بعد ذلك لم تستطع أن تستمر فى الحديث. تدخل الشقة وتغلق الباب. أشعر أنها قد اتكأت على الباب من الداخل ولا تستطيع أن تتحرك. أضع شفتىّ على الباب فى المكان الذى أظن أنها ربما قد وضعت أصابعها فيه، وأقبل ذلك المكان.

(٣٥) قرص يضعه الشيعة للصلاة لأنهم لا يسجدون على المفروشات مباشرة كالسجادة لذا يضعونه مكان السجود وهو من تربة كربلاء.

جلست فى حديقة خالية أفكر فى كلام سايه الذى يتردد فى رأسى. أمامى بضعة أطفال يطيرون طائرة ورقية. لقد غرست سكينًا ليس فقط فى قلبى بل أيضًا فى صدر سايه.

اللعنة على هذه الحياة!

لماذا البشر عاجزون إلى هذا الحد عن فهم ماهية الوجود. البائعون والجائلون وعمال النظافة والخياطون والطباخون وبائعو الساندوتشات وسائقو التاكسيات وحتى الطلاب والفلاسفة وكثيرين آخرين. ماذا يدركون من هذا الوجود المعقد. دائمًا يحترق قلبى لكثير من الناس ليس لديهم المقدرة على حمل مشاكلهم فى هذه الدنيا. أناس قد جعلهم جهلهم ليسوا فقط عاجزين عن فهم الوجود والإنسان بل عن إدراك مصائب عظيمة مثل الفقر، المرض، والموت أيضًا. عندما يفقد عامل النظافة طفله الصغير على أثر مرض مهلك فهو لا يستطيع حتى أن يدرك أبعاد هذا الحادث المرير والمؤسف، أو حينما يقع بائعٌ تحت عجلات سيارة ويحرم طيلة حياته من ساقه. يقضى ذلك البائع بقية عمره فى إعاقة دون أن يعترض على شىء وهو حتى لا يفهم أنه كانت له فرصة حياة مرة واحدة والآن سلبت منه هذه الفرصة إلى الأبد. ربط الأطفال فى الحديقة الخيوط بطائرتهم الورقية وعدوهم على أسفلت أحد شوارع الحديقة حتى يُطيروا طائرتهم.

أُخرج مذكرات بارسا من الظرف وأقرأها:

"حينما أشرقتِ كنت أنا فى ذلك المكان العالى. خلف الزجاج. أفكر فيك. آه، أحيانًا ما يكون أَسفل أفضل من المكان العالى إلى حد كبير!

أنتِ لم تكونى تعرفين ما اللعبة الغريبة التى قد بدأتُها. أنت كنت تتلألأين أسفل مثل شيء أزرق. وكان كل ما هو أزرق يثير جسدى. بعد ذلك ركبنا ذلك الحصان الأبيض غير المجنح وكان يجوب الشوارع الخضراء كالمجانين وكان يعد ويُنهى ويعد وينهى ومرة ثالثة يعد وينهى وكم كان قلبى صغيرًا وضيقًا. كنت أريد أن أتركه يجوب الشوارع ألف مرة حتى يصبح قلبى كبيرًا ويكبر ويكبر ويصبح أكبر ويكبر إلى ذلك الحد الذى يسعك. لكنه لم يتسع ولن يتسع.

أنتْ قلت اذهب هناك. جانب الحائط كنت أريد أن أحطم الجدار ليصبح قطعًا قطعًا؛ كى نتحرر معًا من هذا الزقاق؛ لكنك صرخت ووقفت من أجل خاطرك أمام الجدار ونظر كلانا إلى الجدار، فكم كان طويلاً وسميكًا وصعبًا. ابتسم الجدار ساخرًا من عجزنا وحقارتنا فأثار عنادى. بعد ذلك أعطيتنى عينيك الخضراوين. فكم كانتا زرقاوين وأنا أعطيتك عينىّ وأنت ما زلت لا تعرفين ما اللعبة الغريبة التى قد بدأتها. بعد ذلك نظرت مدققًا إلى يديك ورأيت فيها كل عصمة الحياة وارتعدت فى نفسى. كانوا مثل البحر الأزرق أو كأنهم قطعة من السماء قد سقطت على الأرض. بعد ذلك قبّلت هاتين اليدين الزرقاوين بكل حُرمة وفهمت أن الله أيضًا أزرق".

أتعجب من أن الدكتور بارسا قد كتب مثل هذا النص المغرق فى العشق والمفعم بالأحاسيس. أتصفح الأوراق وأقرأ مكتوبًا آخر لبارسا:

"كلما تجرعتك صرت أكثر عطشًا، يا أكثر ما يجلب الظمأ للماء!
يا أَمَرَّ حلوى! يا أخف ثقيل! أنت أكثر حزنًا لسعادة حياتى. أنت سعادة حزن وجودى. يا حادثًا بسيطًا معقدًا! لماذا لا تحرقيننى يا أبرد شعلة! أيتها الريشة الثقيلة الطليقة من أكثر طائر مجهول مهاجر! أين مدينة الطيور؟".

يوجد مكتوب آخر تاريخ كتابته هو العاشر من شهر أكتوبر[٣٦]. يعنى قبل أسبوع واحد من انتحار بارسا:

"فى واحدة من هذه البيوت، من هذه البيوت القريبة، يحترق قلب شخص ما. إن تنظر أيضًا من فوق السقف فسترى أن النار تتساقط من شباك أحد المنازل خارجًا. شخص ما قلبه يحترق. أنت جئتِ لكنك جئتِ متأخرة قليلاً. من نهاية شارع طويل. مثل ظل حائر. جئت متأخرة قليلاً؛ لكنك تجليت بصورة كاملة وأحرقت قلب شخص ما. يقولون لى لا تقل شيئًا. لا ينبغى أيضًا أن أقول شيئًا لكن قلب شخص ما يحترق.

قلب شخص هنا يصير رمادًا. جئت متأخرة قليلاً؛ لكنك ذهبت مباشرة فى الوقت المحدد فى قلب شخص ما، ومددت يديك فى صدره وأخرجت قلبه وألقيته فى النار وبعد ذلك وضعته مكانه. بسبب ذلك فإن قلب شخص ما يحترق ويصير رمادًا. شخص يغرق فى عينيك. شخص يتلاشى بين خطوط أصابعك. شخص ما يمسك بشعلة نار. قلب شخص

---

(٣٦) مهرماه.

ما يحترق فليصب شخص ما قنينة ماء على قلبه لعله يصبح رطبًا. بين كل هذه البيوت التى غرقت فى الدماء بيتًا يصير قلب شخص فيه رماد، شخص كان مغرماً بأن يطير فى يديك وأن يغرق نفسه. شخص يريد أن ينظر إليك. لا بل يريد أن يتنفسك. يريد أن يطير فى صوتك. شخص يريد أن يحملك إلى ذلك المكان الشاهق ويتركك فوق الجبل، وبعد ذلك يعدو إلى نهاية الوادى وينظر إليك من هناك. شخص يخاف أن يشاهدك من قريب. يريد أن يسبح فى عينيك. شخص يشعر بالبرد؛ بل صار هو الشتاء بذاته. شخص يشعر بالضغط على رقبته ويشعر أنَّه يختنق. شخص لا ينتبه لما تقولينه لكنه ينصت فقط إلى نبرات صوتك. شخص هائم فقط بصوتك. شخص يشعر بالحنين. فى واحد من هذه البيوت القريبة قلب شخص ما يحترق؛ فليصب شخص ما قنينة ماء فوق قلبه لعله يصير رطباً".

طارت طائرات بعض الأطفال فى الحديقة و كانوا يصدرون ضجة وجلبة؛ لدرجة أننى لم أستطع أن أقرأ حتى كتابات بارسا.

"كم جئت بسرعة! قلت اذهبى! لكنك لم ترحلى وطرقت أيضاً الباب. قلت: "كفى، ارحلى!". قلت: "هنا المكان مزدحم وليس لك مكان، لكنك لم ترحلى. جلست وبكيت. انهمرت إلى ذلك الحد دموعها حتى ابتلت وجنتى. بعد ذلك فتحت الباب، وقلت: "انظرى ما أشد زحام هذا المكان!". وها أنت قد رأيت جيداً كم المكان مزدحم بالفيزياء والفلسفة والفن والمنطق والكتب والمجلات والصحف والمساطر والكمبيوتر وورق وكلام وكلام وكلام.

وحدة وغضب وجرح ويأس واشتياق ودمع وفتنة وضباب وضباب وضباب وظلمة وسكوت وخوف وحزن وغربة أنت قد امتزجت مع بعضها البعض وقلب حائر. وكان قلبًا أسودَ ومزدحمًا وثقيلا. قلت: "ليس هنا سر!"؛ فقلت: "سر؟". قلتِ: "إنني سر". وجئت حتى وسط المساطر. بعد ذلك سحروا عينيك من بين ذلك البرواز الأخضر؛ وكأن إعصارا غريبا قد هب. كان قريبًا لدرجة أنه اقتلع القلب من مكانه وأنا كنت أرى الكلام والفلسفة والكتب والمساطر والأوراق واليأس والظلام والخوف والفتنة والضباب والسكوت والزخم والاشتياق والغربة والحزن، تُكنَس من على سطح القلب مثل ذرات الرمل فى مكان ما ملىء بالرمال ومثل ورق ممزق يضيع فى حضن الإعصار. بيت مصقول. بيت مضىء، وخالٍ وعجيب. وهبطتِ أنتِ فى القلب؛ فقلت : "ما أنتِ؟". قلتِ: "سر!".

مكتوب أيضًا من مهتاب هو خطاب إلى بارسا قد كتب قبل انتحاره بليلة واحدة:

"إننى لا أعرف السحر. إننى بسطت روحى التى كانت عظيمة وثقيلة. إننى لا أعرف السحر. قلت إنك صرت شتاءً واحترق قلبى لحالك؛ فَبَسطُت روحى العظيمة والثقيلة مثل خيمة فوقك وقرأت تراتيل العشق حتى اِحترقت. إننى لا أعرف السحر.

كانت أنفاسك تَعود وكانت روحى تنبض مع تنفسك. قلتُ: "أحبك"، وتوقفت تمامًا عن التنفس وتوقفت روحى عن النبض. قلتُ: "أأكون أنا قاتلتك؟ الله لا يُقَدِّر، أأنا ميتة؟". ثم تحررت روحى منك لكنك لم تكن. كنت قد غُيِّبت. قلتُ بأننى لا أعرف السحر".

أنظر إلى الأطفال فى الحديقة. إنهم جميعًا يطيرون طائرتهم الورقية ويصرخون فرحين من أعماق أرواحهم، إلا واحدًا منهم كان غاضبًا ومتضايقًا لانقطاع خيط طائرته. فقبع حزينًا فى أحد الأران.

أجد ورقة مدونة أيضًا من على، قد تركها بين الأوراق. كتب لى فيها: "لقد قرأت مذكرات بارسا. أظن أنه كان عاشقًا، لكننى لا أظن أن انتحاره له علاقة بمعشوقته. الاحتمال أنه انتحر لأن إدراكه كان أقصر من ارتفاع عشقه. فهو بدلاً من أن يسيطر على العشق، غلبه مفهومٌ كان جديداً عليه. إنه لم ينكسر من المعشوق، بل انكسر بشدة من العشق. كذلك يبدو أن معشوقه سعى أن يساعده فى فهم العشق، لكن ذهن بارسا لم يستطع أن يدرك كل أبعاد وتعاقيد العشق. وكأن مثل ذلك العشق الذى قد أشرق على بارسا كان غريبًا بحيث إنه لا يمكن قياسه بالمساطر، ولهذا السبب لم يستطع أن يختاره إلى جانب بقية الأشياء فى كتابه المكتوب بخط يده. كذلك يا يونس، فأنت لا تستطيع أن تنتخب معنى الله إلى جانب معانى حياتك؛ حينما يتلألأ الله فى عصمة الأطفال كثلج الشتاء أين تكون أنت يا يونس؟ فى الواقع أين أنت؟ ربما لم يظهر الله نفسه بهذا الشكل فى أى مكان آخر من الوجود، كما أظهره فى براءة الأطفال. أنا أحيانًا يملؤنى الخوف من شدة وضوح الله فى الأطفال ويبدأ قلبى فى الخفقان. ينبض قلبى بصوت مرتفع جداً؛ أجرى مذهولا حتى أحمل الله من بين أصابع الأطفال. فيما شردت يا يونس؟ هل تسمع صوتى؟".

أضع الأوراق فى الظرف وأنهض من فوق المقعد. أمشى بضع خطوات لكن يكتنفنى إحساس بالدوار. أتسند على شجرة حتى أتحسن. بعد ذلك بقليل حينما أعبر من عرض شارع الحديقة تقع عيناى على الطفل الصغير الذى قد انقطع خيط طائرته الورقية. كان لا يزال يبكى. أذهب لا إراديًا تجاهه وأنظر فى عينيه المملوئتين بالدمع الظاهرة من خلف نظارته السميكة، وأسأل: "هل تحب أن أربط لك خيط طائرتك".

ينظر إلىَّ ولا يقول شيئًا.

- "لو تحب يمكن أن أطيرها لك".

- "إنت ممكن تطيرها لغاية فين ؟ تقدر تطيرها لغاية فين ؟ تقدر تطيرها أعلى من شجر "جنار" (الصنار)؟".

- "ربما. ربما أستطيع. فى الحقيقة لما كنت فى عمرك كنت أقدر".

أضع ظرف الأوراق على الأرض بجانب جذع شجرة وآخذ الطائرة منه؛ كى أعقد خيطها المقطوع. أُعلق أجنحة الطائرة المصنوعة من حلقات ورقية زرقاء اللون وبعد ذلك أَفُك عقد الورق لذيل الطائرة من بعضها البعض. أنظر إلى أغصان الأشجار كى أعرف اتجاه الرياح. الحديقة كانت خالية إلى حد ما. وقد جلس بها القليل من الشيوخ والنساء فى أماكن متفرقة من الحديقة على كراسٍ أسمنتية ويتحدثون مع بعضهم البعض، بالإضافة إلى بضعة أطفال. أَلِّف بقية الخيط حول قطعة خشبية كى لا تنقطع عند الجرى. أنظر إلى الولد الذى أطرق يفكر فيما

فعلت وبعد ذلك يبتسم كلانا. وقد ربط نظارته بخيط حول رقبته كى لا تسقط على الأرض. وكان جيب بنطلونه مقطوعا قليلاً وأحد زرائر قميصه كانت مقطوعة. أفتح الخيط مسافة متر أو مترين وبعد ذلك أبدأ الجرى عكس اتجاه الرياح، ويجرى الولد خلفى. حينما أجرى قليلاً ترتفع الطائرة من الأرض ببطء وتصبح رأسها اللوزية الشكل بموازاة الأرض. وأثناء الجرى أزيد قليلاً من الخيط وأزيد من سرعتى؛ فيتأخر الولد فى اللحاق بى. يقع ظل الطائرة على الأرض؛ فأفرح بطريقة حمقاء وأُطيِّر الطائرة بما تبقى فى يدى من خيط. تبدأ الطائرة فى الارتفاع. حينما أصل إلى نهاية الشارع أفتح بضعة أمتار أخرى من الخيط. أشد الخيط فى يدى تارة وأترك له العنان تارة أخرى؛ كى تحلق الطائرة إلى أقصى ارتفاع وتثبت فى الهواء...

ألتقط أنفاسى بصعوبة. أفكر فى هذا؛ فمنذ متى لم أجرِ ؟ أفتح بقية الخيط بالتدريج وأترك الطائرة للرياح كى تحملها معها فى اتجاه الشرق من الحديقة. وكلما فتحت الخيط للطائرة تصبح فى نظرى أصغر وأصغر. يصل الولد إلىَّ وهو يلتقط أنفاسه ويصيح من أعماق قلبه: "هيه! هيه!".

دون أن أرفع عينى عن الطائرة، أضع الخيط فى يده وأقول له إنه لا ينبغى أن يسحب الخيط بشدة أو أن يتركه فجأة. وأوضح له أن الاحتفاظ بالطائرة فى هذا الارتفاع أصعب من طيرانها.

أضع يديه الصغيرتين فى يدى، وأطلب منه أن يفتح بهدوء قليلاً من الخيط حتى يتحكم فى الخيط بيديه ويصبح موفقًا فى إحكام هذا العمل. يوفق الولد فى أن يزيد من ارتفاع الطائرة قليلاً. بعد ذلك أرفع يدى بهدوء من فوق يديه حتى يقوم بمفرده بتوجيه الطائرة. أنظر إلى الطائرة فى السماء لدقيقة، وبعد ذلك أمعن النظر فى الولد الذى يحرك الخيط بلهفة وخوف.

أتركه وأذهب نحو ظرف مذكرات بارسا، وحينما أبتعد بضع خطوات يرتفع صوت صيحات السعادة للولد فى الحديقة.

لا أنظر خلفى، لكن عندما يصرخ الولد: "هيه! هيه! يا ولاد! طيارتى وصلت إلى السماء، وصلت إلى الله"؛ أنظر إلى السماء، إلى حيث قد وصلت الطائرة الورقية، إلى الله.

## المؤلف فى سطور:

## مصطفى مستور

- ولد سنة ١٩٦٤ فى مدينة الأهواز (غرب إيران).

- وهو مهندس عمران يعمل باختصاصه الهندسى، لكنه حائز فى الوقت ذاته على شهادة ماجستير فى الأدب الفارسى. خاض عالم الكتابة سنة ١٩٩٠م.

- ظهرت له أعمال عديدة فى التأليف والترجمة، وقد حاز على عدة جوائز أدبية. أبرز نتاجاته رواية: "قَبِّلْ وجه إلهك" التى أعيد طبعها سبع مرات فى أربعة أعوام، تم اختيارها قبل سنتين كأفضل رواية لنيل جائزة القلم الذهبى.

## من أعماله الأخرى:

- الحب على الأرصفة، مجموعة قصصية، ١٩٩٧.
- مرتكزات القصة القصيرة، بحث أدبى، ٢٠٠٠.
- الفاصلة وقصص أخرى، ترجمة قصص كارفر، ٢٠٠١.

- الظروف وقصص أخرى، ترجمة قصص كارفر، ٢٠٠٣.
- عدة روايات معتبرة، قصص قصيرة، ٢٠٠٤.
- وتطبع له حاليًا رواية أخرى عنوانها: "عظام الخنزير والأيدي المجذومة".

## المترجم فى سطور :

## أحمد عاطف محمود أبو العزم

- مواليد ٧ يوليو ١٩٧٧م.
- حاصل على ليسانس الآداب - جامعة المنوفية - قسم اللغات الشرقية ، شعبة اللغة الفارسية.
- حاصل على ماجستير اللغة الفارسية وآدابها - جامعة "تراربيت مدرس"، إعداد المدرسين - طهران - إيران ٢٠٠٦ .
- مدرس مساعد اللغة الفارسية وآدابها - كلية الآداب - جامعة المنوفية - قسم اللغات الشرقية - شعبة اللغة الفارسية.
- يعد أطروحته للدكتوراه من جامعة طهران حول: "الأمثال والمصطلحات المعاصرة بين مصر وإيران - دراسة مقارنة".

## المراجع فى سطور :

## محمد نور الدين عبد المنعم

- حاصل على دكتوراه الآداب فى اللغة الفارسية وآدابها من كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٢م.
- يعمل حاليًا أستاذًا متفرغًا للغة الفارسية وآدابها بكلية اللغات والترجمة - جامعة الأزهر.
- تولى عدة مناصب إدارية وفنية منها : رئيس قسم اللغة الفارسية بكلية اللغات والترجمة، وكيل كلية اللغات والترجمة، رئيس لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- ألف وترجم ما يقرب من ثلاثين كتابًا أهمها :

• دراسات فى الشعر الفارسى حتى القرن الخامس الهجرى.

• اللغة الفارسية: بحوث فى النشأة والتطور.

• جوانب من الثقافة الإيرانية.

• معجم النور لمعانى ألفاظ القرآن الكريم (عربى - فارسى).

التصحيح اللغوى: رجب عبد الوهاب

الإشـراف الفنـى: حســـن كــامـل

هــذه الرواية على قصرها وقلة عدد صفحاتهــا ، حافلة بالأحداث ومليئة بالشخصيــات، ومفعمــة بالأفكار ذات الطابع الفلسفــى، وذلك فى إطار شيــق يكتسى طابع البحث والتحــرى، الأمر الذى يجعل القارئ لا يصيبه الملل الــذى يلازم الأفكار المجردة؛ بل نجدهــا مبثوثة فى نسيج النص الروائي، ومشتبكة به دون أن يُنظر إليها باعتبارها جسمًا غريبًا أو عضوًا زائدًا.

إن النظــرة السطحية للرواية التى لا تأخــذ فى الاعتبار بعدها الفلسفى، ســوف تــرى الروايــة باعتبارها قصــة بوليسية، تبحث فيهــا الشخصية الرئيســة: يونس فردوســ، الباحث الاجتماعى، عن سبــب انتحار العالم والفيزيائى الأكاديمى: محسن بارسا.

إن استخــدام الروائى لأسلــوب التحقيق البوليسى ليكــون غطاءً ووسيلة يطرح عبرها الأفكار الفلسفية العميقة عن الوجود والحياة والموت، يشى بمقدرة سردية فذة، وامتلاك كامل لتقنيات الفن الروائى، وذلك لتمكنه من صياغة

منسجمة تجمع ما بين كلا المستويين:

الظاهرى/ الحكائى،والباطنى/ الفلسفى، دون أن يتغلب أحدهما على الآخر، خاصة الجانب الفلسفى؛ لما فى تسيده من إغراء بالخروج على مقتضيات النوع السردى الروائى.

تصميم الغلاف: هانى عبد الخالق